مجلة
روايات أحلام

٥

الرَجُل السَراب

www.elromancia.com

مرمورية

مجلة روايات أحلام

كانت تعرفه صوتاً بغيضاً متسلطاً عبر الهاتف. وها هي الآن تراه أمامها مختلفاً كل الاختلاف.

على كل حال ظروف لقائهما كانت غريبة. فقد وجدا نفسيهما وحيدين تحت سقف واحد، ولا رفيق إلا أمواج البحر.

كان هذا وضعاً خطيراً بالنسبة لسارة بالرغم من قوانين «اللاعواطف» التي وضعاها، فوارن كينكايد رجل لا يعترف إلا بقانونه الخاص، حتى أنه استغلها ضد خطيبته الفاتنة السابقة.

سارة اكتشفت أنها تعيش مع سراب كلما حاولت الإمساك به ابتعد عنها، ولم يبق لها إلا الرحيل مع حطام قلبها. فهل يداوي البعاد القلوب الجريحة؟

elromancia.com

١ ـ الرجل العاصفة

رنين الهاتف أوقف الخطوة التي كانت تهم بها سارة لانغلي للابتعاد عن طاولتها. والضوء الأحمر راح يغمز على الخط الداخلي للمكتب. فتقلت كومة الملفات إلى ذراعها اليسرى، ثمَّ مدت يدها لتجيب:

ـ سارة تتكلم.

ـ لديك مكالمة من ڤيولا شردان على الخط الثالث.

ارتفع حاجبا سارة الأدكنان تعجباً عند سماعها اسم ابنة عمها.

ـ شكراً نانسي.

ضغطت على زر الخط الثالث، متسائلة بسخرية خفيفة عن سبب اتصال ڤيولا بها.

ـ مرحباً ڤيولا.

جاء الصوت الغنائي الجميل خالياً من اعتذار حقيقي.

ـ آسفة لأنني اتصلت بك في عملك يا سارة، فلست أنوي التسبب لك بمشاكل مع رئيسك. ولكنني لم استطع الانتظار حتى المساء لأتكلم معك.

ـ أنت لن تسببي لي المشاكل. فلا قانون يمنعني من تلقي المخابرات الشخصية. ماذا تريدين بهذه الصورة الطارئة؟

ـ أردت أن تعرفي أنني وفريدي مسافران في الغد إلى اسكتلندا

لمقابلة أهله، حيث سنقوم بعد ذلك برحلة بحرية نحو المتوسط.

- هذا رائع!

ما من شيء قد يجبر سارة على إظهار ولو شيء من الحسد.

أردفت ڤيولا بسعادة:

- أليس الأمر مثيراً حقاً؟ لقد حدث كل شيء بسرعة. ذكرت عرضياً أمامه كم ستكون رحلة من هذا النوع رائعة، وأنت تعرفينه، لو أردت القمر لاشتراه لي.

يا للرجل المسكين... ودت سارة لو أن يتعلم فريدي قول كلمة (لا) قبل أن تبذّر ڤيولا ماله كله. فڤيولا تحب فريدي حقاً، ولكنها لن تنضج لأنها على ما يبدو ستبقى طفلة. وتابعت ڤيولا:

- جريتُ كالمجنونة منذ أن أبلغني عن الرحلة لأن نصف ثيابي الصيفية أصبح قديماً وسيصيبني الحرج إذا ارتديتها. اوه يا سارة أود لو ترين هذا الثوب الرائع الذي اشتريته! إنه جريء إلى حدّ أن يمنعني فريدي من ارتدائه إذا ما رآه. ثم هذه البيجاما الساتان ذات اللون الأزرق التي...

- ڤيولا. أحب أن أسمع كل شيء عن ثيابك الجديدة. لكنني مشغولة جداً. لذا من الأفضل أن تتصلي بي الليلة.

- لكنني اتصلت بك الآن لأنني وفريدي مدعوان إلى حفلة عشاء الليلة.

بدا في صوتها ريبة لأنها لم تفهم مقصد ڤيولا. ابتسمت بسخرية وهي تنظر إلى السمّاعة:

- حسناً... سعيدة أنا لأنك أعلمتني بخبر سفرك.

ماذا باستطاعتها أن تقول غير هذا؟

- اوه... ولكن هذا ليس سبب اتصالي... أظنني أخبرتك عن

الأمر قبل الآن.

تمكنت من تصور وجه ڤيولا وعينيها المتسعتين دهشة.

- لا يا ڤيولا... لم تخبريني شيئاً. لماذا اتصلت بي تحديداً؟

- لقد التقيت بآريل ماترز يوم أمس صدفة عندما كنت أهمّ بوضع حمل من المشتريات في سيارتي.

جلست سارة على حافة الطاولة حائرة فما علاقة أريل بهذه المكالمة؟ ستعرف بالتأكيد لكن عليها الصبر حتى تحصل على رد من ڤيولا وتابعت ڤيولا:

- توقفت لأقول لها «مرحباً» ثم تبادلنا الأقاويل قليلاً... أنت تعرفين كيف يتم الأمر. فمن موضوع إلى آخر وصلنا إلى الحديث عنك.

- حقاً؟

- ليس بالشر أو أي شيء من هذا القبيل. لقد ذكرت آريل أنك ستأخذين إجازة الأسبوع القادم مدة اسبوعين، لكنها ليست واثقة من أنك تخططين لأمر ما. أليس هذا صحيحاً؟

ردّت سارة بضجر فرحلاتها الصغيرة لا تقارن بالرحلة التي ستقوم بها ڤيولا:

- أجل...

- ألن تسافري إلى أي مكان؟

- لقد فكرت في قضاء بعض الوقت مع العائلة، أما الوقت الباقي فسأخلد فيه إلى الراحة والاسترخاء.

- هذا عظيم!

لم تكن سارة تظن أن الأمر يستحق كل هذا الحماس، لكن لا ريب في أن ڤيولا لم تفكر كثيراً عندما قالت ذلك. والحقيقة المرّة أن

سارة لن تستطيع تحمل تكاليف السفر إلى الخارج. فأمامها مصاريف أولية مختلفة أولاها تصليح سيارتها التي أنضبت حساب توفيرها إلى درجة الجفاف تقريباً. لكن عزتها تأبى عليها الاعتراف بذلك أمام ابنة عمها لذا حاولت دفع ڤيولا إلى النقطة المطلوبة:

ـ لماذا تسألين؟

ـ قلقت بشأن منزلنا المليء بالأشياء الثمينة الواقع في عزلة على الشاطىء بعيداً عن الجيران الذي قد يتعرض للسّرقة خاصة وأن السيّاح سيوافدون إلى البلد منذ الآن. فقد يقتحم أحد المنزل حينما يلاحظ أن المنزل فارغ. ولست أدري ما أفعل، فأنت تعرفين الأشياء الجميلة الثمينة التي نملكها يا سارة.

ـ أجل.

ـ فيما كنت أفكر بما سيصيب المنزل اثناء سفرنا تذكرت قول آريل عن إجازتك، عندها علمت أنني وصلت إلى الحل المثالي... ما رأيك بالعناية بالمنزل اثناء غيابنا!

ترددت سارة قليلاً:

ـ أعتقد... أنني استطيع.

اثناء إجابتها تلك جالت الفكرة في خلدها فاستنسبتها فليس أروع من قضاء الإجازة في منزل ضخم يرتع عند أعتابه الشاطىء وهذا المنزل لن تقدر على مصاريفه لو أرادت استئجاره.

صاحت ڤيولا:

ـ كنت أعلم أنك ستساعدينني!

ردت سارة بصدق وهي تتصور أيام الاسترخاء تحت أشعة الشمس:

ـ سيكون هذا من دواعي سروري.

ـ ثمة أمر آخر فنحن كما ذكرت منذ قليل مسافران غداً وهذا يعني أن المنزل سيبقى فارغاً وأنا أخشى عليه فراغ ساعة فكيف بيومين أو أكثر. فهل لك السكن فيه ابتداءً من ليلة غد؟

أخذت سارة نفساً عميقاً فليت ابنة عمها تعرف أن ما تطلبه يفرض عليها النهوض مع طلوع الشمس لتستطيع الذهاب إلى لندن قبل ازدحام السير الخانق. لكنها فكرت بما أن الغد هو نهار الخميس وأن السبت عطلة فلا بأس بالقيام بهذه الرحلة. فوافقت بعد تفكير:

ـ بالطبع... سأوضِب حقائبي وأسافر بالسيارة بعد انتهاء العمل غداً.

ـ سأدين لك بالشكر طوال عمري. في المنزل أطعمة كثيرة وكل ما تحتاجينه من أدوات، سأترك مفتاح الباب في وعاء الزهور قرب الباب.

ـ حسناً.

ـ وداعاً.

سمعت سارة فوراً صوت الخط الذي قطع قبل أن تجيب حتى، وهذه هي عادة ڤيولا التي ما أن تحصل على ما تريد، حتى تفقد اهتمامها بالحديث. لكن الشكر لها لأنها جعلت أسبوعي الإجازة عطلة تتوق إليها بفارغ الصبر.

عليها طبعاً أن تكلم رب عملها، ديرك ارميتاج، عن صباح السبت. استوت واقفة عن الطاولة ثم تقدمت من خزانتين معدنيتين فوضعت عليهما الملفات ثم فتحت درجاً وشرعت في وضعها مرتبة فيه. في هذه الأثناء دخل ديرك ارميتاج أحد شركاء مكتب المحاماة ملقياً التحية:

www.elromancia.com

- مرحباً سارة.

تقدم من طاولتها ليراجع كومة رسائل. مررت سارة يدها على أحد جانبي شعرها البني ثم التفتت إليه تتأمله. ديرك ارميتاج في أواخر الثلاثينات من عمره، غزا الشيب شعره الأسود لكنه إلى الآن لم يتزوج فهو الأعزب الدائم كما يدّعي.

كانت سارة تعلم، رغم خبرتها المحدودة، أنه سيصعب إيجاد رئيس مثله فهو مرح يسهل التعامل معه. كانا قد تواعدا عدة مرات في الأشهر الأخيرة، لكن لم يحاول أي منهما نشر الخبر أمام الآخرين في المكتب. قالت له سارة بنظرة عطف من عينيها البنيتين:

- من خلال ما أراه على وجهك اعتقد أن لا داعي إلى السؤال عن الاجتماع.

اشتدت زاويتا فمه إلى الأسفل:

- أرجوك لا تسألي. لقد أصابني الإحباط اثناء الشرح للرؤساء الكبار أسباب خسارتنا قضية الدكتور ايفاريز. ليت هؤلاء الرؤساء يخرجون من مكاتبهم إلى العمل لفهموا طبيعة ما نواجه.

- اقترح عليهم ذلك.

ابتسمت له، فتنفس بحدة.

- لا... هذا ليس من صميم عملهم. وهم لا يودون سماع الأعذار بل يريدون الحلول، والنجاح. عليّ البدء بدراسة القضية من جديد للنقض والاستئناف. آه من المشاكل!

- بما أننا نتحدث عن المشاكل فهل لي أن أذكرك بإجازتي المقبلة.

- لا تذكريني بهذا فأنا لا أريد ذكر الأمر قبل صباح الاثنين.

- آسفة. لكني أملت أن تمنحني إجازة صباح السبت.

لمعت أسنانها البيضاء وهي تبتسم له، فقطب حاجبيه ثم ظهر الارتباك في عينيه اللوزيتين:

- لكنك كما ذكرتِ لي أنك لن تقصدي مكاناً معيناً اثناء إجازتك.

- تغيرت خطتي قليلاً. ذلك أن ابنة عمي اتصلت بي طالبة مني السكن في منزلها على شاطىء هايستنغز اثناء قيامها وزوجها برحلة بحرية غداً مما يقتضيني ذلك المكوث في منزلهما ابتداءً من ليلة غد حيث سأضطر إلى السفر الجمعة، ذهاباً وإياباً ولن أقدر على اجتياز هذه المسافة يوم السبت. فهل تعطيني الإذن؟

هز كتفيه:

- ولماذا لا؟

- شكراً لك. سأعمل حتى وقت متأخر يوم الجمعة لأعوض عن يوم السبت.

- الأفضل أن تخرجي من بيت المجانين هذا في الخامسة مساء الجمعة قبل أن أغير رأيي فأؤجل لك إجازتك. عندها ستضطر ابنة عمك أن تجد لها من يحرس المنزل بدلاً عنك. على فكرة من ستحل محلك هنا؟

- جيني.

لمعت عيناه عند سماع الاسم الذي تلفظت به سارة فقال بلهجة جافة:

- الأفضل أن تتركي عنوانك ورقم هاتف ابنة عمك مع نانسي. في حال خلطت «جيني البلهاء» الأمور أو اكتشفت أنها أضاعت شيئاً. أين قلت العنوان؟ شاطىء هايستنغز؟

- أجل... المنزل على شاطىء القناة الانكليزية تماماً و...

لم تكمل سارة، إذ شهق ديرك وقال:

www.elromancia.com

ـ على الشاطىء؟ قلت على الشاطىء؟ اللعنة... قد آخذ إجازتي وأنضم إليك. يبدو هذا وكأنه الجنة... منتجعات هايستنغز مكان للعشاق كما تقول المنشورات السياحية، ماذا لو أثبتنا صحة هذا الكلام؟

ـ إن لم تشأ العمل نهار الأحد فاتبعني؟

رد ديرك دون تردد:

ـ اتفقنا... سأحضر معي بعض اللحم للشواء.

ـ عظيم.

رن جرس الهاتف الداخلي، فتقدمت سارة لتجيب فطالعها صوت نانسي عاملة الهاتف:

ـ ألم أشاهد السيد ارميتاج يدخل منذ قليل يا سارة؟

ـ أجل.

ـ جيد، السيد كينكايد على الخط رقم واحد. لقد اتصل ست مرات اليوم.

ولم تضف شيئاً فالسيد كينكايد رجل غير صبور إطلاقاً.

ـ شكراً نانسي...

التفتت إلى ديرك:

ـ السيد كينكايد على الخط رقم واحد.

شد على أسنانه غيظاً:

ـ ألن أنتهي من الشرح والتفسير اليوم؟ استخدمي سحر صوتك الدافىء لتأجيل المكالمة فترة.

جلست على كرسيها ثم رفعت السماعة لتضغط على الخط رقم واحد:

ـ مكتب السيد ارميتاج، هل لي بمساعدتك؟

جاءها الصوت الأجش:

ـ أجل... أريد مكالمة السيد ارميتاج.

كان أمراً لا طلباً ما قاله، لكنها مع ذلك ردت بإصرار:

ـ آسفة جداً... إنه مشغول على الخط الثاني... هل أوصل له رسالة؟

ـ حقاً؟ إنه على الخط الثاني؟

أحست برده الساخر، فقالت بثبات:

ـ أجل... هل أطلب منه الاتصال بك عندما ينتهي؟

ـ لا... فأنا لا أشك في أنه يقف قربك الآن ليتأكد من نجاحك في إبعادي.

أجفلتها قليلاً هذه النبرة الجافة.

ـ أؤكد لك يا آنسة أنك لن تنجحي.

لم تدر ما إذا كانت لهجته المتعجرفة أم ردة فعلها الغاضبة على اتهامه هو الذي دفعها للتخلي عن لطفها لتلجأ إلى الأسلوب الساخر الذي كان البادىء فيه:

ـ أؤكد لك سيد كينكايد، أن السيد ارميتاج مشغول على الخط الآخر لكن بما أنك تبدو على عجلة شديدة من أمرك تجعلك فظاً إلى هذا الحد فسأرى إن كان بإمكاني مقاطعته، أرجوك ابق على الخط.

دون أن تعطيه فرصة الرد، ضغطت على زر الانتظار. فقال ديرك فوراً:

ـ أنا آسف يا سارة... سأكلمه من مكتبي.

ـ ليتك تطلب منه القفز إلى بحيرة قاحلة.

ـ صدقيني، قد أطلب ذلك. لكننا نعمل في وقته وماله وهذا ما خسرته بخسراني تلك القضية. أعتقد أن له الحق في معرفة ما جرى.

www.elromancia.com

- إنّما لا حق له في أن يكون فظاً إلى هذا الحد إنه...

- احذري... فالسيدات لا يستخدمن الكلمة التي تفكرين فيها!

تمتمت سارة وهي تنظر إلى الضوء الذي يضيء طوراً ويتطفىء تارة إشارة منه إلى الانتظار:

- لا أشعر الآن أنني سيدة.

- فكري في الأسبوعين اللذين ستقضيهما بعيداً عن كل هذا.

تلاشى غضبها بالسّرعة التي اشتعل فيها لتحلّ محلها ابتسامة مشرقة:

- سأحسّ لحظة أو لحظتين بالأسى عليك لما تقاسيه في هذا المكتب بينما أتمرغ أنا فوق الرمال.

مساء الخميس، وصلت سارة إلى مدخل منزل ڤيولا شيردان بسيارتها الملأى بالحقائب والأغراض. تفحصت عيناها معالم البيت المدهون باللون الأبيض الذي يماثل زبد البحر المتكسر على الشاطىء.

حملت حقيبة زينتها وإحدى الحقائب الصغيرة من مؤخرة السيارة ثم انطلقت باتجاه باب المنزل الأمامي. بسبب انهماكها في البحث عن وعاء الزهور الذي قالت ڤيولا انها ستضع المفتاح فيه لم تنتبه لما تحت قدميها. إذ علق طرف حذائها بممسحة الأرجل أمام الباب، فتعثرت إلى الأمام حيث طارت حقيبة الزينة من يدها، فوقع منها كل ما فيها من أغراض على الأرض الصلبة. واستطاعت سارة استعادة توازنها لحظة واحدة قبل أن تلحق حقيبتها إلى الأرض، صاحت تؤنب نفسها:

- لماذا لا تنتبهين لموضع قدمك يا سارة؟

بينما كانت تلملم أغراضها المبعثرة عن الأرض لاح لها وميض

شيء معدني. التقطته فإذا به مفتاح، وضعته في قفل الباب فانفتح.

تمتمت: «يا لڤيولا الغريبة».

تركت الباب مفتوحاً لتعيد الأغراض إلى الحقيبة ثم تمتمت مردفة: نسيت المكان الذي عليها أن تضع المفتاح فيه، فاختارت أبسط الأمكنة.

ولجت الباب إلى المنزل الذي زارته قبل الآن المؤلف من طابقين: الطابق الأرضي يحوي المكتبة وغرفة استقبال. وما تبقى يحتله المرآب.

القسم الرئيسي من المنزل هو في الطابق الأعلى إلى يسارها. نظرت إلى السلم، فأعجبتها الخزائن الطويلة المبنية في الحائط ابتداء من فسحة السلم حتى السقف، والنقش الذي زيّن خشبها الأبيض المطعم بالأزرق اللماع من خلال زجاجها المقطع في الأبواب الطويلة، وبدت مزهريات جميلة من البورسلين الأبيض والأزرق تتوزع فيما بين الكتب.

كان كل شيء حولها صامت لا يسمع في أرجاء المنزل إلا صدى نعلي حذائها على الأرض الخشبية وقد أزعجها صوتهما حتى ودت السير على أطراف أصابعها.

غرفة الجلوس كانت عالماً أزرق قائماً بذاته، فيها مقاعد زرقاء وبيضاء تلائم ألوان الغرفة عليها وسائد زرقاء كأنها ذنب الطاووس وسجادة زرقاء كبيرة تقبع في وسط الغرفة، أمام مدفأة ذات حجارة بيضاء. وفيها أيضاً تماثيل وصور ذات ألوان زرقاء، يزيد من إبراز لونها النباتات الخضراء المعلقة والمنتشرة في الغرفة.

كانت غرفة الطعام والمطبخ امتداداً لغرفة الجلوس التي لا جدران

تفصل بينها. فيها أثاث أبيض مطعَّم يغلب عليه اللون الأخضر بفعل النباتات الخضراء التي فيها.

وضعت حقيبتها من يدها، ثم تقدمت من نوافذ كبيرة مواجهة للبحر. ذات ستائر زرقاء مفتوحة تكشف عن منظر البحر الرائع ورمال الشاطىء المغرية. لم تمكث كثيراً أمام هذا المنظر لأن لديها وقتاً طويلاً تستطيع خلاله تأمل الخارج. أما الآن فعليها توضيب ملابسها وتجهيزها.

تفرعت غرف النوم من الردهة إلى يسار غرفة الجلوس، قد خصص للضيوف غرفتان هما أصغر من الغرفتين الأخريين الرئيستين، ومع ذلك واسعتان تبعثان الراحة إلى القلب. اختارت إحداهما وهي غرفة مطلة على البحر لها حمام مشترك مدخله من الردهة.

بعد ساعة من وصولها، أتمت إدخال كل حقائبها وأشيائها ووضعها في خزانة فيها بعض ثياب ڤيولا الشتوية، ثم ركنت السيارة في المرآب. بعد ذلك اتجهت إلى المطبخ، فحضَّرت صحناً من الجبن واللحم البارد والفاكهة. عشائها تناولته وحيدة على المائدة، في مواجهة البحر.

ما إن غسلت صحونها وبعض الصحون التي تركتها ڤيولا على ما يبدو انتقلت أفكارها إلى الرمال الممتدة أمامها، الفاتحة لها ذراعيها عبر النوافذ.

الشمس المائلة إلى المغيب مزجت الرمال بلونها الذهبي الذائب اثناء عودتها إلى المنزل حيث كانت آثار قدميها تخط خلفها خطاً. شعرت بالتعب وهي تجد السير نحو المنزل لكنه تعب ممزوج بالانتعاش من جرّاء الهواء المالح الذي يهب عليها.

حالما استحممت، تكورت في الفراش، لتغرق في نوم عميق.

استيقظت خلال الليل هنيهة عرّفتها إلى المكان الذي هي فيه ثانية لتغط في نوم لم تستفق منه إلا على صوت جرس المنبه. وتذكرت المسافة الطويلة التي عليها أن تقطعها إلى لندن فتأوهت: أحمد الله لأنني سأقوم بهذه الرحلة مرة واحدة فقط!

أعدّت قهوتها بسرعة ثم حملت الفنجان متثائبة باتجاه شرفة غرفة الطعام. كان النسيم الذي يهب من البحر منعشاً خفيفاً هو ما تحتاجه تماماً لطرد النعاس عن رأسها.

انحنت فوق سياج الشرفة، تراقب المد المتقدم، مذهولة بحركات الأمواج المتسارعة الواحدة تلو الأخرى نحو الشاطىء. توقف الزمن عند هذا الجمال الذي غرقت فيه وهي تحتسي قهوتها.

صوت سيارة كسر السحر الذي حولها، فاستدارت عابسة. وقد وجدت أن هواء البحر جعلها عاجزة عن تحديد المكان الذي صدر منه الصوت، لكنها كانت على يقين من أنه قريب جداً وقد يكون صاحبه صياداً انطلق باكراً إلى صيده.

ازدحام السير الصباحي على الطريق الرئيسية باتجاه لندن كان كثيفاً كما توقعت مما حداها إلى المكوث وقتاً طويلاً على الجسور في مداخل لندن فكان أن تأخرت في الوصول إلى المكتب عشرين دقيقة جعلتها تمضي معظم فترة الصباح محاولة تعويضها.

بعد عودتها من فرصة الغداء، توقفت عند عاملة الهاتف، التي دل التعبير المرتسم على وجهها أن أقاويل المكتب العادية هي آخر ما يجول في فكرها:

ـ كنت قد طلبت من السيد كينكايد، الذي اتصل مجدداً، معاودة الاتصال عند الواحدة والنصف معتقدة أن السيد ارميتاج سيعود في هذا

الوقت، لكنه اتصل منذ قليل ليقول انه مرتبط بعمل في الخارج، وسيغضب السيد كينكايد عندما يعلم بغيابه.

أول ما أرادت قوله في هذه اللحظة «ماذا إذا غضب؟» ولكنها تذكرت لذع لسان السيد كينكايد الفولاذي وعلمت أن نانسي تخشى من اتصاله فقالت:

ـ دعيني أكلمه لأشرح له الوضع.

لم تكد تجلس إلى مكتبها، وتضع حقيبتها في الدرج السفلي حتى رن جرس الهاتف. وقالت نانسي ان السيد كينكايد على الخط الثاني. صرّت سارة على أسنانها، ثم شجعّت نفسها قائلة: لا تفقدي سيطرتك على أعصابك، ابقي هادئة ولطيفة بغض النظر عما يقول وإياك وزيادة الزيت إلى نار ديرك.

كانت النصيحة خيراً لها، ولكنها قبل أن تلتقط المكالمة، مدت لسانها للهاتف المضيء. تعبيراً عما يجيش في قلبها. كم شعرت بالسرور في هذه اللحظة لأنها ستبتعد عن كل هذا مدة اسبوعين.

عندما تكلمت كان هناك ما يكفي من كسل في صوتها:

ـ مكتب السيد ارميتاج.

ـ صليني به فوراً.

ـ آسفة هو غير موجود ولن يعود قبل وقت متأخر. هل لي بمساعدتك؟

رد بغضب بارد:

ـ لقد قيل لي...

قاطعته بصوت هادىء مثير:

ـ أجل... أعرف ما قيل لك سيد كينكايد. كنا نتوقع وصوله عند الواحدة والنصف لكنه عاد فأعلمنا باضطراره إلى التأخر بعض الوقت.

جاءها الرد الصارم:

ـ إذاً أنت تدعين أنه غير موجود؟

ـ أنا لا أدعي بل أقول لك الحقيقة.

ـ لست أدري ما يشغل ارميتاج لكنني أؤكد لك يا آنسة...

ـ آنسة لانغلي.

ـ يا آنسة لانغلي، إنه ليس مشغولاً بقضيتي. يوم أمس وعدني بتقديم تقرير كامل وها أنا انتظر آنسة لانغلي.

كان صوته المنخفض شريراً مفعماً بالغضب عندما أردف قائلاً:

ـ أعلميه حينما يعود بأنني أتوقع اتصاله بي.

لو أن ما يشغل ديرك أمراً عاجلاً اضطرارياً كما قالت نانسي، فهذا يعني أنه سيعود في مزاج عكر يحول بينه وبين الاتصال بهذا المتعجرف. تنشقت بعض الهواء ثم تابعت رسالة الرحمة، فهذا أقل ما يمكن أن تفعله لديرك تعويضاً له عن غيابها صباح السبت:

ـ سيد كينكايد أنا أعرف تفاصيل قضيتك والظروف المحيطة بها وبناءً على ذلك قد أفيدك في شرح بعض الأمور.

ـ أنت؟

لم يكن توبيخه سخرية بقدر ما هو ازدراء واحتقار لكنها رفضت أن تلتقط الطعم، لذا ردت بكل لطف:

ـ أجل سيد كينكايد... أنا أعرف تماماً ما يجري في مختلف القضايا التي يعالجها السيد ارميتاج، بما فيها قضيتك.

ـ وما يجري فيها: لا شيء.

ـ لذلك سبب سيد كينكايد.

ـ حسن جداً... أخبريني لماذا لم تُعيَّن جلسة القضية بعد؟

ـ لن تعين الجلسة قبل جلسة الاستماع الأولى وجلسة الاجتماع

www.elromancia.com

مع محامي الخصم. الذين إلى الآن لم يحضروا أوراقهم... أرأيت سيد كينكايد، الأمر يجري في حلقة مفرغة.

ـ هذا ليس بجديد علي آنسة لانغلي. لقد سمعتها مراراً من ارميتاج، الذي وعدني بالسعي لحث المحامين الآخرين، لكنه كان يفشل دائماً.

ـ عندما وعدك كان مؤمناً بأن الأمر سينتهي، لكن الذنب ليس ذنبه ذلك أنه بالأمس ادّعى أحد المحامين فقده بعض الأوراق، لكن دير... السيد ارميتاج اكتشف صباح اليوم أن الأمر غير صحيح. اؤكد لك أنه يأسف للتأخير أسفك أنت له.

ـ ألا أوراق أساسية في المحكمة؟

ـ لا بد من هذا سيد كينكايد.

ـ لماذا لا يلجأون إليها للحصول على أوراقهم المزعومة.

بدأت تحس باحمرار وجهها:

ـ لست أدري سيد كينكايد.

ـ أتعرفين من يلاحق هذا الأمر من المكتب؟

ـ لا... لا أعرف.

ـ هل قام ارميتاج بملاحقة الأمر شخصياً.

ـ أنا واثقة من أنه ينوي...

ـ حقاً آنسة لانغلي. يبدو لي أنه إذا تمكنت إرادة البشر وإصرارهم من إيصالهم إلى القمر، فمن الأولى أن يتمكن هؤلاء من إيجاد أوراق ضائعة... ألا تظنين هذا؟

ـ أجل بالطبع...

ـ إذن هل لي أن اقترح اقتراحاً، فبما أنك سكرتيرة ارميتاج. فعليك استغلال وقتك في التفتيش عما هو مفقود والإبلاغ عنه!

انقطع الخط... هذا ما كان يجب أن يتم منذ بضعة أيام ولكن انشغال ديرك بالقضية التي خسرها مؤخراً جعل الفكرة تبتعد عن ذهنه. والتقطت سارة الهاتف، وبدأت أول خطوة لإصلاح الخطأ.

●●●

www.elromancia.com

٢ ـ غداً ترحلين

يبدو كل هذا جنوناً. تمطت سارة بكسل كقطة كسول وهي تنظر إلى النوافذ المفتوحة في هذه الليلة الصيفية فيما النيران تشتعل في المدفأة. لكن هذا كله لاءم مزاجها. فهواء البحر المشبع برائحة الملح اللاذعة وتكسر الأمواج على رمال الشاطىء وألسنة اللهب المتراقصة على أنغام الموسيقى المنبعثة من «الستريو»، تركت في نفسها هدوءاً بعد نهار مضنٍ في المكتب، كان سببه مكالمة كينكايد المتلفة للأعصاب والقيادة الطويلة مساءً وسط ازدحام السير إلى منزل ڤيولا. انهارت سارة فور وصولها ليلة الجمعة لتنام حتى ظهر اليوم التالي. السباحة بعد الظهر كانت الحركة الوحيدة التي سمحت بها لنفسها. إضافة إلى طبخ عشاء إيطالي مليء بالحراريات لذلك المساء.

والآن... بعد أن تسللت أشعة القمر فحولت البحر إلى كتلة فضية وبعد أن أضاء اللهب الأصفر زوايا المدفأة، تملكتها رغبة في الجلوس على الأريكة التماساً للقراءة وهذا ما فعلته حقاً.

بدت البيجاما الرقيقة وهي تمدّ ساقيها قصيرة حتماً، لكنها هزت كتفيها إذ ليس حولها جيران، وإن أراد أحد التلصص فيجب أن يكون عملاقاً كي يتمكن من الوصول إلى مستوى الطابق العلوي ونوافذه، فهنا، على الشاطىء الرملي الممتد على كتف مضيق دوڤر فوق مياه القناة ليس هناك أي كثبان أو تلال رملية أو جبل.

سرعان ما بدأ رأسها يميل... وكتابها ينزلق من يدها حالما داعب النوم أجفانها.

أيقظها شيء ما بعد ساعة، ظنته للوهلة الأولى حسيس خشبة تحترق، أغلقت الكتاب ثم وضعته على الرف الأبيض قرب مصباح سارعت إلى إشعاله. كان التعب الذي يجتاح جسمها يدعوها إلى الإيواء إلى السرير لكنها كانت هانئة سعيدة هنا قرب النار، فأغرقت رأسها عميقاً بين الوسائد وأخذ تتأمل اللهب الأصفر الذي يلعق الحطب المتفسخ تقريباً في المدفأة.

من الأسفل، سمعت مسكة الباب تتحرك فطار من عينيها كل نعاس وصرخ فيها كل عصب حذراً... لص يقتحم المنزل! وهي وحدها إذ لا جيران حولها ليسمعوا استغاثتها.

لم تصدر قدماها الحافيتان صوتاً فوق السجادة اثناء اقترابها من الهاتف الواقع في الجانب الآخر من الأريكة لكنها وجدت الخط مقطوعاً عندما رفعت السماعة... تصاعد الذعر الرهيب في عروقها.

فات أوان الهرب لأن الباب قد فتح والخطوات الهادئة راحت ترتقي السلم. دفعتها بديهتها إلى المدفأة، فتصاعد صوت المعدن فوق المعدن وهي تمسك بمحرك النار المعدني من مكانه.

توقف وقع الأقدام لحظة جمدت حينها قرب المدفأة، تتمسك بكلتا يديها بمحرك النار، ترفعه كما يرفع لاعب البايسبول مضربه أمامه.

تحرك الطيف باتجاه الضوء القاتم المنبعث من نار المدفأة. كان الطيف يرتدي سروالاً أسود يعلوه قميص فاتح. لم يبدُ من وجه الرجل سوى زوايا ومسطحات تتخللها نيران تنعكس عليه من المدفأة دون أن

تكشف إلا ملامحاً قاسية أوحت إليها بأنه ينظر إليها بفضول، إن لم نقل بدهشة مثيرة.

تقدم خطوة إلى الأمام. فقفز قلبها إلى حلقها مانعاً الكلمات من الخروج. تلاشت الظلال... لتجد نفسها تحدق في عينين زرقاوين راحتا تتجولان ببطء واهتمام فوق جسدها، بدءاً من أطراف عنقها الطويل نزولاً إلى ثنايا صدرها فرقة خصرها ووركيها، ثم انحداراً على مدى ساقيها العاريتين وصولاً إلى أطراف اصابع قدميها، ثم صعوداً من جديد بالاتجاه المعاكس.

لم تكن سارة تدرك، أن نور اللهب وراءها يجعل بيجامتها الرقيقة أكثر شفافية ذلك أن حواسها كلها كانت منصبة على عينيه اللتين بدتا تخرقان جسدها، فلم تع مدى الإثارة التي يبرزها رداؤها الشفاف.

عندما عادت العينان الزرقاوان الكسولتان إلى وجهها تطوفان في تقاطيعه الرقيقة الناعمة وفي تسريحة شعرها القصيرة الجميلة، أخذت سارة ترتجف، فاشتدت قبضة يديها على القضيب الحديدي حتى ابيضت مفاصل اصابعها... فاجأها الغريب بصوت مشبع بمعاني خفيّة.

ـ قال فريدي انني سأجد كل شيء أريده في هذا البيت، لكني لم أفهم أنه عنى كل شيء إطلاقاً.

حركت سارة محرك النار وقالت بصوت خرج منها كالهمس:

ـ اخرج من هنا؟

سمعت ضحكته العميقة، فأرادت الهرب لكن قدميها المرتجفتين لم تعيناها على ذلك. لم يحدث أن خافت يوماً كما هي خائفة الآن إذ قد يصيبها مكروه كبير تحاول يائسة أن لا تتصوره. عادت للتحذير:

ـ الأفضل أن تخرج من هنا أو سأستدعي الشرطة.

نظرت إلى الهاتف، ثم اقتربت منه. إنها تعلم أن الخط مقطوع، ولكنها كانت تحاول إخافته. سمعت الضحك في لهجة صوته:

ـ آسف، ولكن الهاتف مقطوع مؤقتاً.

اثناء زفيرها المتهدج من السرعة واليأس، صدرت عنها أنّة رعب جعلت شدقيه ينحرفان بابتسامة بدت لطيفة بشكل غريب مع أنها ممزوجة بالتهكم:

ـ لماذا لا تقولين لي من أنت وماذا تفعلين هنا؟

صدمها سؤاله حتى عجزت عن الرد. إذ بدا لها أن وجودها لن يقنعه بالذهاب وعليها أن تفكر بشيء آخر. فقالت كاذبة:

ـ يجب أن تعرف أنني لست هنا وحدي، لقد ذهب زوجي إلى المخزن ليشتري شيئاً وسيعود حالاً لذا الخير لك أن تغادر المكان قبل أن يعود.

فابتسم الدخيل:

ـ حقاً؟ هذا رائع. ربما عندما يعود ستضعين قضيب النار من يدك لتشرحي بعض الأمور.

خطا خطوة إلى الأمام، فرفعت سارة القضيب إلى أعلى استعداداً للضرب. قلبها كان يخفق في ضلوعها، ومعدتها بدأت تتقلص من الخوف. قالت تهدد مرتجفة:

ـ لا تقترب أكثر، أو سأحطم رأسك.

توقف، لكن البسمة الكسولة بقيت على شفتيه. وقفته المسترخية لم تخدع سارة فهذا الرجل النحيل المفتول العضلات، المتناسق التقاسيم قادر على الانقضاض بسرعة حيوان مفترس.

قال لها وفي صوته تلميح إلى أنها لن تساويه قوة:

ـ أعتقد أنك قد تفعلين هذا.

فجأة وقعت قطعة حطب في المدفأة مصدرة صوتاً مرتفعاً خلفها جعلها تظن أن هناك من يهاجمها من الخلف. وقبل أن تدرك أن الصوت كان لحطبة محترقة، أحسّت بفكي كماشة تُطبق على معصمها بينما تولت يد أخرى مسؤولية الإمساك بالقضيب الحديدي. خرجت صرخة «لا!» من حنجرتها عندما خلت يدها من السّلاح.

اندفعت افرازات الغضب في شرايينها، فراحت يداها وقدماها تضربان دون وعي ودون أن تصيبا شيئاً.

في البداية اكتفى الرجل بإمساك ذراعها والابتعاد عن ضرباتها، ولكن بعد أن وصلت ضرباتها إليه، اتخذ أسلوباً آخر لأن جسدها فجأة هوى إلى الأريكة فتصاعد حذر بدائي في قلبها المرتجف عندما أحست بثقل جسده يضغطها فوق الوسائد.

من خلال أنفاسها المرعوبة المتقطعة حاولت التخلص منه دون جدوى... فرجولته أيقظت مشاعر الخوف والحذر فيها وزادت جنونها ووحشيتها. لكن اصابعه القاسية كانت تثبت كتفيها إلى الأريكة حاجبة ضربات قبضتيها عن الوصول إلى هدفهما، تاركة إياها أسيرة بين ذراعيه.

عندما ضاعفت جهدها أضعافاً مضاعفة، أحست بأن حمّالة البيجامة، تتمزق تحت اصابعه، عن غير عمد، ولكن لمسة اصابعه على لحمها الذي اصبح الآن عارياً جعل دمها يجمد في عروقها من الخوف.

حرارة جسده كانت قد أثرت عليها الآن. سمعته يشتم قليلاً، عندما أطلقت تنهيدة خوف وغرزت أسنانها في شفتها. فصاح بها بخشونة آمراً:

ـ هلاّ توقفت عن هذا؟ لا أريد أذيتك.

دخلت كلماته إلى ذهنها فتذكرت فوراً شيئاً سمعته أو قرأته عن نصيحة تقضي بعدم دفع المهاجم أياً كان إلى المزيد من العنف.

توقفت تدريجياً عن القتال، مع أن كل عضلاتها بقيت متوترة تأهباً لحركته المقبلة متحينة فرصة للهرب.

حينما أصبح تنفسها أكثر انتظاماً وعمقاً قال:

ـ هذا أفضل.

انتقل إلى جانبها، منحيّاً جسده عنها لا قبضته وكأنه عرف أنها ستهرب عند أول فرصة سانحة. قالت له بصوت جاف:

ـ اتركني!

كانت تعلم أنه لن يتركها لكنها كانت بحاجة لهذا الطلب كي يعلم أنها لم تستسلم كلياً... فأجاب:

ـ ليس بعد.

في النور المعتم قليلاً، شاهدت لمعان أسنانه فعلمت أنه يبتسم. عندئذ تألمت لأنها عاجزة عن مواجهة قوته الطاغية.

أخذ يدنو منها، فأغرقت رأسها في الوسائد، لكنه مد ذراعه فوقها ليضيء المصباح الواقع على جانب الأريكة الآخر.

ـ والآن إليّ ببعض الإيضاحات... ماذا تفعلين هنا؟

قطبت سارة بارتباك:

ـ أنا أسكن هنا.

بدت في نظرته سخرية ممزوجة بالشك:

ـ هل تملكين هذا المنزل؟

ـ حسناً... ليس بالضبط.

تعجبت، لما تُشعرها اسئلته بعدم الاطمئنان، فلها الحق القانوني المطلق في أن تكون هنا. رفعت يدها اليسرى المتحررة لتمسح خصلة

من شعرها البني عن عينها. لاحقت نظراته حركتها عندها كان يكرّر جملتها:

- ليس بالضبط... ماذا عن زوجك؟ لقد قلت إنه عائد بعد قليل. ومع ذلك فليس هناك خاتم في يدك اليسرى، ولا أثر لارتدائك الخاتم فيها.

علمت أنها علقت في فخ كذبتها فندمت:

- من الواضح أنك لا تنتظرين زوجاً رغم ملابسك المغرية هذه.

عادت عيناه إلى البيجاما الرقيقة القصيرة التي لا تغطي إلى القليل من اجزاء جسدها وقد زاد الطين بلة الرباط الممزق المتدلي إلى صدرها. أحست بالمرارة تتصاعد حالما تذكرت أن ما ترتديه يكشف أكثر مما يخفي.

أردف:

- لا أظن قطعاً أنك تتوقعين وصول أحد.

- لن تكون واثقاً من هذا.

- ألن استطيع؟ النساء عادة يتبرجن ويتعطرن في نقاط محددة عندما ينتظرن حبيبهن. ووجهك نظيف و...

رفع ذراعها إلى أنفه، ليشم رائحة الصابون الصرف بدل العطر.

فابتسم وتابع:

- كما أنك لا تستخدمين عطر شانيل «٥».

انتزعت سارة يدها منه:

- وماذا في ذلك؟ هذا ليس شأنك أضف إلى أنني لست مضطرة إلى تفسير الأمور لك. فأنت من اقتحم المنزل وهاجمني... أنت...

توقفت عن الكلام، عندما تذكرت أن عليها أن لا تذكره بسبب دخوله، أو بأنها تستطيع بسهولة وصفه للشرطة.

اللمعان المعدني القاسي، أكد لها وجهة نظرها. قال مكرراً بقساوة باردة:

- اقتحمت المنزل؟ بارعة أنت في اختلاق الأقاصيص.

- اختلاق الأقاصيص...

- أجل الأقاصيص.

تحركت يده، ثم فجأة أظهر لها مفتاحاً.

- لقد استخدمت المفتاح لأدخل. أنت من اقتحمت المكان.

حدقت سارة إلى المفتاح فاغرة الفاه.

- هذا مستحيل! أإذا أريتني مفتاحاً يعني ذلك أنه مفتاح المنزل؟

- صدقيني أنه كذلك. لذلك حان وقت التوقف عن تمثيل دور البريئة؟

- تمثيل؟

تجاهل سخطها:

- أمامك خياران، فإمّا أن ترتدي ثيابك وتغادري المكان... وأعتقد أن لديك ثياباً أخرى غير هذه... أو إذا كنت بحاجة ملحة للمكان لتنامي الليلة، أنصحك بمشاركتي فراشي.

مرر اصبعه على كتفها العارية باعثاً رعدة مختلفة في جسدها.

- في الليلتين الماضيتين وجدت الفراش مريحاً لكنه فارغ.

- الليلتين الماضيتين؟

فقال ضاحكاً بسخرية:

- يبدو أن المنزل ينتج الصدى.

- أنت تتهمني بتلفيق الأقاصيص! ويبدو أنك أنت المتفوق في هذا المضمار... أنت لست سوى كاذب! تحاول دفعي إلى التفكير في أن لك الحق في البقاء هنا... حسناً... لقد علقت في الفخ الذي نصبته

بنفسك. عليك أن تعرف أنني كنت أنام في هذا المنزل منذ ليلتين... وأنا بالتأكيد لم أشاهدك.

ـ ألا تستسلمين يا هذه؟

طوح قدميه ليقف، فصاحت به سارة:

ـ لا... أنا لا استسلم... وبما أنك تركت لي الخيار بأن أبقى فسأغادر!

ـ عظيم! أخبري اصدقاءك الذين يحسبون هذا المنزل فارغاً يستطيعون فيه قضاء ليال مجانية بأنهم مخطئون في اعتقادهم!

كانت سارة قد وصلت إلى منتصف الطريق نحو غرفتها عندما أنهى كلامه. فتوقفت والتفتت إليه من فوق كتفها:

ـ سأخبرهم... حالما أرتدي ملابسي، سأصعد في سيارتي قاصدة الشرطة رأساً.

استدارت لتتابع طريقها قائلة:

ـ لقد كانت ڤيولا محقة بشأن ترك هذا المكان فارغاً اثناء سفرها.

خطواته السريعة اجتازت المسافة التي بينهما بسرعة هائلة. أما قبضته التي أمسكت ذراعها الناعمة فكادت تسحقها حينما أدارها نحوه. أمسكت أطراف بيجامتها لئلا تنزلق ثم واجهته متحدية... فسألها:

ـ ماذا قلت منذ قليل؟

ـ قلت سأقصد الشرطة رأساً.

ـ ليس هذا... بل الجزء الأخير الذي تمتمته.

ـ بشأن ڤيولا؟

ـ من هي؟

ـ إنها صاحبة المنزل بالطبع. ألا تعرف هذا؟

ـ طبعاً أعرف، لكن كيف عرفت أنت؟ أعتقد أنك كنت تتجولين في المنزل.

عدت سارة إلى العشرة بسرعة ثم قالت:

ـ ڤيولا شيردان هي ابنة عمي.

رد عليها والريبة واضحة على وجهه:

ـ حقاً؟

فردت بسخرية:

ـ أجل... حقاً...

ـ وأين هي الآن إذن؟

ـ لقد سافرت وزوجها إلى اسكتلندة في زيارة إلى أهله يعقبها رحلة بحرية يقومان بها إلى المتوسط. وما أنا هنا إلا لأحمي البيت اثناء غيابهما. أرأيت أنك المتسلل هنا لا أنا!

ـ هل طلبت منك ڤيولا السكن هنا؟

بعد أن ترك ذراعها أرجع رأسه إلى الوراء ليتأملها.

ـ أجل.

ـ وزوجها فريدي طلب مني السكن هنا.

ـ ماذا؟ وهل تتوقع أن اصدقك؟

ـ صدقت أم لا... فهذه هي الحقيقة.

مد يده إلى جيب قميصه ليخرج علبة سكائر، أشعل منها واحدة بهدوء بينما نظرت سارة إليه بريبة:

ـ أنا لا أعرف ابنة عمك ڤيولا جيداً. لكن عائلة فريدي وعائلتي على علاقة حميمة منذ سنوات.

ـ أيمكنك اثبات ما تقول؟ فريدي الآن مع عائلته فلِمَ لا تتصل به؟

ـ سبق وأخبرتك أن الهاتف معطل وذلك بناء على طلبي فلولا

تعطيل الهاتف لما وافقت على السكن هنا... لأنني أريد الابتعاد عن الهاتف.

فردت سارة بسخرية وارتياب:

- إذن لن تتمكن من اثبات معرفتك بفريدي.

حدجها بنظراته من خلال دخان سيكارته:

- أتعرفين أين ذهبا لقضاء شهر عسلهما؟

- أجل... وهل تعرف أنت؟

- لقد ذهبا إلى اليونان... حيث أمضى فريدي يومه كله تحت أشعة الشمس مما سبب له ذلك قضاء يومين في المستشفى.

- ما تقوله صحيح. إذن هو من طلب منك السكن.

- هذا ما كنت أقوله لك.

قطبت حاجبيها وهي تسأله:

- ادّعيت مكوثك في المنزل منذ ليلة الخميس؟

- لم أدعِ... لأنني كنت هنا... في غرفة نوم الضيوف.

- ولكن كذلك أنا... اوه...

مررت اصابعها في شعرها الكث القصير... حل الأحجية بدأ يظهر لها «اوه» لقد اتّضح كل شيء... «اوه يا إلهي» التفتت لتنظر إليه.

- هل أعطاك فريدي المفتاح شخصياً؟

- لا... لقد تركه هنا.

- أين؟ أين قال انه سيتركه تحديداً؟

- لقد قال انه سيتركه تحت الممسحة لكنني...

- لكنك وجدته في وعاء الزهور... صحيح؟

عبس هو الآن:

- أجل... كيف عرفت؟

- لأنه المكان الذي قالت ڤيولا انها ستترك فيه المفتاح، إلا أنني تعثرت بالممسحة ووجدت المفتاح صدفة تحتها.

ثمة شيء آخر يثبت ادعاءه... وقالت:

- لقد كانت تلك سيارتك التي سمعتها صباح الجمعة إذن؟

- لقد رحلت ما بين السادسة والنصف والسابعة إلا ربع.

- وكانت تلك صحونك التي غسلتها وأنا أظنها لڤيولا.

- كنت قد تأخرت... لكنني لم أرك هنا.

- كنت في الشرفة أتناول قهوة الصباح... الأمر كله لا يصدق!

عادت دون وعي لتغرق في الأريكة وهي تردف قائلة:

- ذهبت إلى النوم باكراً ليلتين متواليتين نمت فيهما وكأنني قطعة حطب.

- لم أعد في هاتين الليلتين قبل منتصف الليل.

فضحكت:

- وعندما عدت الليلة ظننتك لصاً.

- وظننتك فتاة مدرسة تنامين في أول منزل ترينه فارغاً أمامك.

هزت سارة رأسها:

- يا لهذه المغالطات! اتساءل... عما إذا اكتشف فريدي وڤيولا ما فعلاه بعد؟

- أشك في هذا...

فتنهدت مبتسمة بمرح بعد فهمهما للموقف:

- اعتقد أن الأمر لم يعد يهم. إنهما الآن بعيدان، لن يستطيعا فعل شيء لإصلاح الموقف. والأمر غدا بين أيدينا لنصلحه.

التقط قضيب النار ثم أعاده إلى المدفأة قائلاً:

www.elromancia.com

ـ الوقت متأخر لفعل أي شيء. في الغد سيكون لك وقتاً وفيراً لجمع ثيابك.

فصاحت بدهشة:

ـ من... أنا؟

●●●

٣ ـ أنت هبة من الله

ـ بالطبع سترحلين.

بدت الدهشة على وجهها لأنها غير موافقة... فقالت متحدية:

ـ لماذا «بالطبع أنا».

ـ لو كنت لصاً، فماذا كنت ستفعلين؟ لا جار قريب يسمع صراخك.

قالت بإصرار وعناد:

ـ لست اهتم. أنا في إجازة. وهذه بقعة مناسبة لي وأنا لن أذهب.

ـ أنت تريدين عطلة على شاطىء البحر فاذهبي وفتشي عن فندق.

ـ أو تحسبني سأجد مكاناً في مثل هذا الوقت من السنة وإن وجدت فأنا لا أقدر على تحمُّل نفقة إقامة أسبوعين في فندق. لذا سأبقى أنا هنا، على أن تذهب أنت من هنا.

فرد بعناد:

ـ لن أذهب... وشكراً لشخص غير كفوء...

قطع جملته قبل أن يتمها، ثم ألحقها بجملة أخرى:

ـ مطالب العمل لا تسمح لي بإجازة فخمة، وكل ما أحلم به الهرب بضع ساعات من وقت لآخر، حيث لا يمكن لأحد الوصول إلي هاتفياً... وهذا خير مكان مناسب لي.

www.elromancia.com

لاحت على ثغره ابتسامة حين أردف:

- إنني إلى الآن لا أعرف اسمك!

- لانغلي... سارة لانغلي.

لمعت في عينيه ضحكة خبيثة:

- هل أنت الآنسة لانغلي الشهيرة؟

- عفواً؟

رفعت رأسها، تحدق فيه بارتباك تام، لماذا سألها هذا السؤال بهذه الطريقة؟؟

- أين تسكنين؟

- لدي شقة في إحدى ضواحي لندن... لماذا تسأل؟

- وأين تعملين؟

وما شأن كل هذا بكل شيء؟ لكنها أجابت على أمل أن يقوم هو أيضاً بإرضاء فضولها.

- أنا سكرتيرة في مكتب محاماة في لندن.

أصبحت النظرة الخبيثة أوضح، وإذ بصوته يرتفع دون توقع بقول هادىء:

- أنا لا أدعي أن السيد ارميتاج غير موجود... بل أنا أقول الحقيقة.

فغرت سارة فمها ثم أقفلته... قالت بأنفاس متقطعة:

- ألستَ أنت... أنت... السيد كينكايد؟

- وارن كينكايد... وأخيراً تقابلنا وجهاً لوجه بدل التخاطب عبر الهاتف.

حدقت سارة مذهولة في الرجل الطويل العريض المنكبين الواقف أمام المدفأة ذي القسمات القوية المنحوتة نحتاً التي تحمل بصمات

رجل اعتاد التسلط على الآخرين. عبر الهاتف كان يبدو مثيراً للأعصاب وكأنه قُدَّ من صخر. لم تكن الصورة التي رسمتها له في ذهنها تماثل هذا الرجل الخطير الذي يفرض إرادته بالقوة. قال ساخراً:

- ألا أشبه تصورك؟

قالت متلعثمة:

- قلما تشبه الصورة التي في خيالي.

- وماذا كنت تتوقعين؟ غول بثلاثة رؤوس... لا تخافي لقد تركت الرأسين الآخرين في المكتب.

بدأت سارة بغضب تصف الرجل الذي تعرفه على أنه وارن كينكايد:

- أنت أكثر الرجال فظاظة...

- لو كانت تلك الكمية من المال لك ولو كنت تعانين من التأخير الذي أعانيه في جلبه لصحت في وجه الجميع كما أصيح بهم.

لم يكن في صوته، رغم المقاطعة، أثراً للاعتذار. فقالت ساخطة:

- أهذا هو عذرك؟

- لا... هذا لا يعذر تصرفاتي يا سارة...

استخدم وارن كينكايد اسمها الأول بكل سهولة وعفوية، ثم تابع:

- لكنه يشرح لك سبب حاجتي اليائسة إلى بعض الهدوء والسكينة قبل أن يستحيل علي العيش مع ذاتي... على فكرة هل وجدتم تلك الأوراق؟

- لم أجدها في الأمكنة التي أعرفها. ولكن هناك من يلاحق الأمر.

تراءت ابتسامة على طرفي ثغرها لكنها رفضت أن تسمح لها بالبروز، فهي لم تسامحه بعد على فظاظته:

ـ لا بد أننا سنحصل على رد محدد بعد ظهر الاثنين.

ـ لكنكِ في إجازة... وهذا يعيدنا إلى المأزق الحالي.

ارتفع ذقنها بشموخ إلى الأمام استعداداً للمعركة، ثم قالت:

ـ من يذهب ومن يبقى؟

لاحظ وارن هذا فأسند مرفقه إلى رف المدفأة... حركته هذه دلت على تصميمه على ما يريد.

ـ بما أننا عنيدان فأظن أن الحل في بقائنا معاً هنا.

رفعت سارة حاجبيها دهشة لا معترضة من اقتراحه هذا بينما كان يردف:

ـ على كل، لقد أمضينا فعلاً ليلتين معاً تحت سقف واحد.

كان عليها الاستفسار عن أمر قبل التفكير باقتراحه. سألته بصراحة:

ـ هل أنت تعيد من جديد دعوتك إياي إلى مشاركتك الفراش؟

ـ أنت تلمحين إلى التعليق الذي اطلقته حينما بدوت لي أشد سذاجة ورعباً وكأنك تلميذة. ذلك الاقتراح بدا لي أسرع طريقة تدفعك إلى الهرب.

هز رأسه بسرعة ثم قال:

ـ لست مهتماً بالجنس الآخر. فأنا هنا للحصول على الهدوء والسكينة.

أجال نظره على جسدها الصغير غير المكسو، ثم أضاف بمكر وسخرية:

ـ ومع ذلك، فإن كانت عادتك التجول في هذا الوضع المغري،

فقد أغيّر رأيي.

أرسل تلميحه إلى أنوثتها رعدة غريبة في أوصالها، لجعلتها ترفع طرفي ياقة بيجامتها وتضع الرباط الممزق تحت ذراعيها، لكن ما تقوم به الآن لا يسمح لثوبها بستر ما هو ظاهر منها ولا يغطي ساقيها المكشوفتين للعيان. فقالت مدافعة عن نفسها:

ـ سبب ما أنا فيه الآن هو أنت.

ـ كان ذلك صدفة... حسناً ما رأيك؟

ـ لكنك تريد الهدوء والسكينة فلماذا تريدني أن أبقى؟

ـ إن مواجهتي لك جعلتني أفهمك بعض الشيء. فلو أصريت على ذهابك لقاتلتني بضراوة وأنا لا أريد قتالاً أو جدالاً فكفاني ما عندي. أضيفي إلى هذا أنني متعب.

لاحظت سارة آثار الضغط العصبي على وجهه.

ـ لذلك أفضل التوصل إلى اتفاق مقبول يناسبنا معاً. فنحن راشدان، أأنت راشدة؟

علمت أنه يهزأ بها فأجابت بإصرار:

ـ أنا في الرابعة والعشرين من عمري.

نظر إليها مرة أخرى بتعال:

ـ تبدين أكبر.

ـ شكراً لك!

امتزج في صوتها الغضب والدهشة. هي معتادة على قول العكس أي على أنها أصغر سناً.

تنفس بتعب:

ـ أقصد بقولي انك تبدين مغرية جداً وأنت جالسة في هذا الوضع المثير.

احمرّت وجنتاها فتمتمت:

ـ سأحضر الروب.

تعثرت في وقوفها عن الأريكة لأنها كانت تقبض على البيجاما بيدها. فتحرك وارن ليسد طريقها وليقول بنفاذ صبر:

ـ لا تزعجي نفسك، ما أعنيه هو...

وضع يديه على كتفيها عفوياً، ثم أرجعهما بسرعة إلى جانبيه:

ـ إن وافقت على هذا الحل، فليس هناك من سبب يحول بيننا وبين النوم الليلة... في غرفتين منفصلتين.

ـ أنا...

ترددت، لقد أحست فجأة بأن لرجولته جاذبية قوية، وإذا كان يحس بها كما تحسّ به. فهل سيكون بقاؤهما معاً تحت سقف واحد ناجحاً؟

قال لها بهدوء:

ـ أعرف بما تفكرين. قد تتطور العلاقة بيننا إذا تركناها تنمو. قد أكون سيء الطباع في بعض الأحيان، لكنني استطيع السيطرة على طباعي واعتقد أنك قادرة أيضاً على ضبط طباعك.

الغريب أنها صدقت قوله لذا ارتسمت ابتسامة على شفتيها بعد أن وجدت روح النكتة في ارتباكها. إنهما فعلاً راشدان، لن يحدث بينهما ما يثير إلا إذا سمحا بذلك. تراقصت الضحكة في عينيها:

ـ هل تعني هذه الابتسامة «نعم» يا زميلة؟

ـ نعم...

ـ عظيم... ما قولك إذن في انهاء هذا النقاش كي أتمكن من النوم؟

ـ حسناً... عمت مساء.

تنحت مبتعدة عنه قاصدة غرفة نومها.

بعد ثلاثة أرباع الساعة، كانت مستلقية في سريرها، مرهقة كل الإرهاق لكنها رغم ذلك عاجزة عن النوم. كافحت للبقاء حيث هي مستلقية دون حراك، لكنها كانت تستمر بالتقلب والتلوي بسبب أرقها.

مضى وقت طويل، قبل أن تستطيع تجاهل وجوده في الغرفة المجاورة وتغفو، ولهذا كان قد حل الضحى قبل أن تستيقظ. أحست بالقلق من نومها الطويل هذا لذا سارعت إلى التقاط روبها القطني من أسفل السرير، ثم وضعته عليها وخرجت مسرعة إلى الحمام، في الردهة وقفت وجهاً لوجه أمام وارن المغشي البصر المشعث الشعر القاصد هو الآخر الحمام، وطافت عيناه الزرقاوان بسرعة فيها فأحست بالراحة لأنها غيرت بيجامتها القصيرة بأخرى طويلة الساقين. لن يتهمها الآن بأنها شبه عارية!

لوى فمه بسخرية وهو يومىء إلى باب الحمام.

ـ السيدات أولاً...

عاد أدراجه إلى غرفة نوم الضيوف الأخرى.

دخلت سارة إلى الحمام مشتعلة الوجنتين كمراهقة صغيرة. كانت المياه الباردة أكثر تأثيراً عليها من الكلمات التي أنبت فيها نفسها. غسلت وجهها، نظفت أسنانها، وضعت زينة خفيفة، ثم خرجت من الحمام.

نظرة سريعة إلى غرفة وارن أعلمتها أنه جالس على حافة سريره، ورأسه الأسود متكىء إلى مرفقيه. فقالت له:

ـ لقد انتهيت. إنه دورك الآن. سأصنع بعض القهوة.

فتنفس الصعداء وفرك وجهه بيديه قبل أن يقف:

ـ جيد...

بينما كان صوت الماء يصل مسمعيها من الحمام ملأت إبريق القهوة، ووضعت بعض البن فيه. أمامها وقت طويل لترتدي ثيابها قبل أن ينتهي وارن من الاستحمام، صبت كوب عصير برتقال، وجلست على الكرسي المرتفع قرب الطاولة الثابتة في الحائط تحتسيه.

عندما انتهت من شرب العصير، سمعت الماء يتوقف، فتنهدت، وانزلقت عن الكرسي المرتفع، وسارت نحو غرفتها لكنها سمعت وهي في منتصف الطريق جرس الباب يرن، فغيرت اتجاهها لتفتح الباب إذ لا بد أنه شخص جاء يزور ڤيولا وفريدي. فتحت الباب قليلاً وهي تبتسم بأدب:

ـ نعم؟

وجدت نفسها تواجه امرأة ورجلاً غريبين عنها. للمرأة شعراً أشقر طويل بلون الحنطة ووجه مزين خير زينة بطريقة تنسجم مع ملامح وجهها الخلّابة. بدت الصدمة والدهشة واضحة في هاتين العينين الخضراوين وهما تنظران إلى سارة.

كان الرجل أطول منها، ذا شعر أشقر بلون رمال البحر. بدا هو أيضاً دهشاً برؤية سارة. فتحت سارة فمها لتقول ان فريدي وڤيولا غائبان لكن المرأة تكلمت أولاً. بصوت بارد، وهي توشك على الذهاب لو لم يمسك الرجل ذراعها:

ـ لا بد أننا أخطأنا بالعنوان يا تيد.

أمّا الشاب فوجه نظره إلى سارة دون أن يلتفت إلى الشقراء.

ـ نحن نبحث عن وارن كينكايد. هل هو هنا؟

أجفلت سارة، لمّا أدركت ما سيسببه وجودها وحيدة مع وارن في

المنزل من إحراج إليهما... لكن لِمَ الإحراج ما دامت لم ترتكب ما يعيب؟

ـ إنه هنا. اتبعاني...

فتحت الباب لهما ثم راحت ترتقي الدرج في صمت مطبق ولّده هذان الغريبان خلفها. في هذا الوقت لامت نفسها على ما ترتديه. فليتها ارتدت ملابسها قبل أن تشرب العصير لكن ما حصل قد حصل.

اثناء اجتيازهم الردهة، سألت الشقراء الجذابة بطريقة متكبرة:

ـ هل أنت مدبرة المنزل؟

قد تجيب سارة عن أي سؤال بأدب شارحة ملابسات وجودها أما عن هذا السؤال الفظ فلا. التفتت سارة إلى المرأة ثم وضعت يدها على خصرها ورمقت المرأة بنظرة باردة متعالية عمداً:

ـ هل أبدو لك مدبرة منزل؟

دون أن تنتظر الرد عادت ترتقي الدرج وهي تشعر بسخط الشقراء يتصاعد وكأنه الريح الشمالية العاصفة. سمعت الرجل يتمتم بصوت منخفض ساخر:

ـ كنت حقا تبحثين عن المتاعب بسؤالك هذا يا كاثي.

سمعت ردها الهامس:

ـ اصمت!

في غرفة الجلوس، توقفت سارة قرب الأريكة لتدعوهما إلى الجلوس حتى يتسنى لها بعد ذلك إعلام وارن بقدومهما، لكنها قبل أن تتفوه بكلمة سمعت صوت باب الحمام ينفتح:

ـ سارة!

كان في صوته رنّة وحشية وهو يناديها باسمها. استدار رأسها نحو الصوت الذي تسارعت خطوات صاحبه باتجاه غرفة الجلوس وهو

يقول بغضب:

ـ هل استخدمت شفرة حلاقتي؟

تسمَّر في مكانه عندما رأى الوجوه الثلاثة تحدِّق فيه.

كانت منشفة بيضاء تلتف حول خصره، وأخرى أصغر منها ملقاة على عنقه. أما شعره فكان يلمع من جرّاء الماء ووجهه يغطيه معجون الحلاقة من كل الجهات إلا في جزء صغير كان قد جرحه عندما مرر شفرة الحلاقة على ما يبدو.

رغم مجيئه المفاجىء إلا أنه لم يبدُ متأثراً أو منزعجاً من الموقف الذي هو فيه الآن بل الغريب أن نظرة عينيه ضاقت قليلاً وهي تنتقل من الشقراء إلى الرجل إلى سارة، بانتظار رد سارة عن سؤاله الأول... فأجابته:

ـ إذا استخدمت الشفرة التي فوق الرف فهي لي. أما شفرتك فهي في الخزانة.

يبدو أن رد سارة قد قطع الخيط الرفيع الذي كانت تتمسك الشقراء به لتسيطر على أعصابها. فقالت بصوت مرتجف عنيف:

ـ وارن... أريد أن أعرف من هي هذه المرأة، وماذا تفعل هنا؟

رد وارن ساخراً:

ـ صباح الخير لك أيضاً يا كاثي.

رفع المنشفة عن عنقه ليمسح بها الصابون الآخذ بالجفاف... فقالت سارة:

ـ أرجو أن تعذروني.

أدركت أن ما تراه على وجه الشقراء الميّالة إلى العنف ليس سوى أولى بوادر الثورة... لكن وارن سألها ببرود:

ـ هل صنعت القهوة؟ أنا بحاجة لفنجان.

ـ أظن هذا.

قطع عليها بسؤاله هذا السبيل إلى الانصراف فقد ظنته يريد فرصة ليفسِّر على انفراد سبب وجودها هناك، لكن الواضح أنه لا يريد. وجه وارن كلامه بكل هدوء إلى الرجل بينما كانت سارة تتوجه إلى المطبخ:

ـ مرحباً تيد... كيف حالك؟

ـ بخير... وارن...

لكن سارة لاحظت الضحك الخفي في طيات لهجة الرجل. لم تكن تعرف ما هي العلاقة بين الشقراء ومرافقها الذي يبدو مستمتعاً بهذا الموقف المضحك. لكن من حق هذه المرأة كائناً من تكون معرفة ما يجري من خلال وارن الذي لا تدري إن كان متزوجاً أم أعزب.

يا إلهي!... ماذا لو كانت المرأة زوجته؟ كاد وعاء القهوة يقع من يدها، والدم راح ينحسر عن وجهها.

سمعت المرأة تقول بغضب بارد:

ـ أنت لم تجب عن سؤالي يا وارن.

كان رده بصوت منخفض بغيض:

ـ ما ظنتك تريدين حقاً رداً. لأنك دون ريب قد فسّرت الأمر كما يحلو لك.

ارتجف الفنجان وصحنه في يد سارة، وشحب وجهها شحوباً تاماً. كان الثلاثة واقفين. وارن وكاثي يحدقان إلى بعضهما بعضاً بعدائية ظاهرة وسارة تتقدم من وارن لتعطيه فنجان القهوة الذي توقف عن الارتجاف حين أمسكه ووضعه بسرعة على أقرب طاولة. قال تيد الأشقر وهو ينظر إلى سارة متفحصاً:

ـ ألن تعرفنا بالآنسة يا وارن؟

التفت يده القوية بتملك حول خصر سارة، فأجفلتها لمسته. وارتفع نظرها إليه لتلتقي بعينيه اللتين غدتا أقتم زرقة. بينما أنفاس الشقراء سُمِعت كهرير قطة، وعيناها برقتا بكره شديد كان يؤججه وارن عمداً بخداعه المرأة بدل السعي إلى شرح ملابسات المسألة.

ـ أنتما لم تقابلا زميلتي في السكن رسمياً؟

اشتدت قبضة ذراعه على خصرها بعد أن حاولت الابتعاد... لقد أشار إلى أنها زميلة سكنه عندما كان يمازحها ليلة أمس، ولكن استخدامه هذه الكلمة في هذا الوقت بالذات كان مثيراً أو باعثاً إلى الغضب. جرها بضع خطوات إلى الأمام:

ـ سارة أريدك أن تلتقي كائلين آرثربوري وشقيقها تيد آرثربوري.

قدمهما اسمياً دون أن يعقب قوله بتفسير يوضح علاقتهما به:

ـ وهذه سارة لانغلي.

نظرت كائي نظرة كره خضراء إلى سارة، لكن شقيقها مد يده ليصافحها متمتماً:

ـ إنه لمن دواعي سروري لقاؤك يا سارة.

أبقى يدها أكثر من المفروض في يده ووجه إليها نظرة أشعرتها بأنها ترتدي ثوباً أسود مغرياً يفضح مفاتنها لا هذه البيجاما القطنية المستَّرة بروب المنزل.

قال وارن بصوت متوعد:

ـ توقف عن هذا يا تيد.

عندها ترك يدها بسرعة ونقل نظرته الساخرة إلى وارن.

ـ لقد فهمت أهي أملاك خاصة يُمنع الدخول إليها؟

رد وارن باختصار صارم:

ـ هذا صحيح.

فقالت سارة بغضب:

ـ ألا تظن أن عليك توضيح الوقائع لأصدقائك يا وارن؟

نظر إليها، وقد لاحظ غضبها:

ـ لا أظن أن كائي بحاجة إلى شرح قضية وصولك وملابساتها ذلك أنها رأت بأم عينيها ما رأته ففهمت الأمر بالطريقة التي تريد.

ـ أخبرها الحقيقة إذن.

وجه بصره إلى كائي قائلاً بطريقة غير مبالية:

ـ إن كل ما ترينه لا يدل على ما تفكرين فيه، لأنني نمت في الواقع في غرفة وسارة في أخرى.

فصاحت كائي:

ـ قبل أم بعد؟

نظر وارن إلى سارة وكأنه يقول: ألم أقل لك. عندها أقرّت سارة بهزة رأس صامتة بأن كائي غير مستعدة لتفهم حقيقة الموقف والملام على ذلك وارن الذي ظهرت ملامح التحدي على فكيه عندما أعاد كلامه إلى كائي:

ـ لكنك لم تذكري سبب وجودك هنا.

ردت عليه بسخرية:

ـ جئنا ندعوك للعشاء ولإقامة حفلة عفوية على الشاطىء بعد الظهر. لكنني حسبتك وحدك ليس لديك ما تفعله طوال النهار.

رد وارن بابتسامة لطيفة مصطنعة:

ـ ها أنت مخطئة تماماً.

اشتدت ذراعه أكثر على خصر سارة فشدها إليه أكثر قبل أن تتمكن من منعه حينئذ احتجت هامسة بغضب: «لا تفعل هذا؟» لكن ما أن تراخت يده قليلاً عنها، حتى كانت كائي قد استدارت على عقبيها،

وشعرها الأشقر الطويل يلوح فوق كتفيها.

ـ هيا نذهب يا تيد.

هز تيد كتفيه:

ـ أراك لاحقاً يا وارن.

لكنه كان ينظر إلى سارة قبل أن يستدير ويلحق بشقيقته.

ـ كاثرين... أتذكرين ما قلته لك ذلك اليوم؟

صوت وارن أوقف كاثي في منتصف السلم، قسمات وجهها الجذابة تلمع بالكبرياء... تابع وارن:

ـ لقد قلت لك: لا تتصلي بي... سأتصل أنا بك! وأظنك الآن فهمت ما عنيت عندما قلت ما قلت.

لمعت عيناها الخضراوان وهما تحدجان سارة ببغض، ثم تابعت نزول السلم يتبعها تيد مبتسماً. أما وارن وسارة فبقيا جامدين إلى أن أغلق الباب الأمامي خلف الزائرين. عندئذٍ قالت سارة بسرعة:

ـ كان عليك...

لكن الضحكة العميقة الحادة التي انطلقت من حنجرته أذهلتها. استعادت يده الملتفة على خصرها القوة لتلفها في مواجهته ثم قال ضاحكاً:

ـ أنت هبة من الله يا سارة!

ضمها إلى صدره بقوة كادت تزهق أنفاسها وعندما أرجع رأسه إلى الوراء لينظر إليها، بدت مشوشة الذهن كل التشويش.

ملأت رائحة الصابون وكريم الحلاقة أنفها، وراح قلبها يلتف حول نفسه، غير قادر على إيجاد ضرباته الأصلية، وفوق هذا كله، اعتراها الارتباك وعدم الفهم من تحوّله المفاجيء من السخرية والبرودة مع كاثي إلى هذه السعادة الدافئة المشرقة.

عقد يديه خلف ظهرها الصغير، في حين بقيت أناملها موضوعة فوق صدره باحتجاج صارخ وهي تحس بقوة جسده. حدقت عيناه اللامعتان بمكر في عمق عينيها فبانت التجعدات حول عينيه اللتين لاحظتا ارتباكها واشتداد اسوداد عينيها البنيتين.

قال شارحاً:

ـ كنت أحاول جاهداً تنحية هذا الغراب الجذاب عن ظهري منذ عدة شهور... وها هو وجودك هنا قد أفادني مبعداً تلك الفتاة عني إلى الأبد. أنا الآن مدين لك بعرفان الجميل إلى الأبد.

ـ من هي؟

ـ هي من جعلتها منذ سنتين بغباء وجهل خطيبتي لكن سرعان ما ندمت على ما فعلت... وبما أن كاثي لا تستسلم للرفض أبداً فقد استمرت في ملاحقتي لتقنعني بتغيير رأيي منذ فسخت خطوبتنا.

كان وجهه الذي حجبت قسماته لحيته النامية خلال الليل قد دنا منها كثيراً.

فقالت سارة بلهجة اتهام:

ـ إذن لهذا تركتها عامداً تعتقد أننا أمضينا الليل معاً...

ـ بالضبط... على كل ما كانت لتصدقني وإن حاولت اقناعها بالعكس. ولو وجدت كاميرا خفية صورت كل شيء حدث بيننا لما صدقت، لأنني أفهم تماماً الطريقة التي يعمل فيها عقلها فهي ستحسبني من اختلق الفيلم وأعدّه.

وأفلتت سارة من بين يديه لأنها وجدت قربه منها باعثاً على التوتر والاضطراب خاصة وهو شبه عار. ابتعدت عنه بضع خطوات، فأضاف:

ـ لكنني آسف على وضعك في هذا الموقف الحرج وأنت بريئة من كل اتهام.

عمقَّت بسمته الفجوة فوق خده وهو يتابع:

ـ أتمنى ألا تعترضي على وصفك ظلماً أنك امرأة حمراء.

فهزت كتفيها:

ـ لا اعتقد أن ما حدث بيننا يعتبر في هذه الأيام وصمة لفتاة ما. اعلم أنني قلقت عند رؤيتها لأنني حسبتها زوجتك ولأنني شككت في أنك ستستغلني من أجل دعوى الطلاق.

فغمز لها ساخراً:

ـ أرجوك لا تذكريني كم كنت قريباً من الزواج منها، إذ لا يرغب الرجل في معرفة شدة غبائه.

ـ لكنها جميلة جداً.

ـ هي تملك جمال الجسد فقط. بالمناسبة هل تجيدين الطهو.

مضت لحظات قبل أن تستطيع سارة متابعة الحديث الذي بـدّله بسرعة مذهلة.

ـ لست بارعة في ذلك... لماذا؟

ـ أنا جائع، وكلي ثقة بأنني سأقنعك بتحضير الفطور.

ابتسم... فردت:

ـ سأرتدي ملابسي أولاً... قبل أن يهبط علينا زائر آخر.

مرر وارن يده على لحيته:

ـ وأنا أحتاج إلى الحلاقة. هل قلت ان شفرتي في الخزانة؟

فهزت رأسها:

ـ لقد شاهدتها هناك هذا الصباح.

لحقت به على بعد خطوة، عندما توقف أمام باب الحمام تابعت

مسيرها نحو غرفة نومها. لكنه مد يده ليوقفها.

ـ عندما اقترحت عليك ليلة أمس أن نبقى هنا، لم أكن أنوي مطلقاً استغلال وجودك ضد كائي.

ـ أصدق هذا... لم اعتقد أنك تستغل الوضع.

ـ أتمنى ذلك.

صمت لحظة متردداً، وتابع:

ـ لو عرفت مسبقاً بمجيئها، لأصريت على مغادرتك المنزل بدل تعريضك لريبتها.

لم ترد سارة أن تطيل الحديث عن ريبة كائي:

ـ لا بأس... لم يعد الأمر يهم. هل تريد اللحم المجفف أم النقانق مع البيض؟

ـ اللحم... أحبه مقلياً جيداً وأضيفي ثلاث بيضات وقطعة من الخبز المحمَّص.

فتنهدت ساخرة:

ـ سألتك عما تفضل لا عما تطلب.

ازدادت ابتسامته اتساعاً قبل أن يستدير قاصداً الحمام.

إن وارن كينكايد هذا يختلف كلَّ الاختلاف عن ذاك المتحدث النزق الفظ هاتفياً. أما وارن هذا فيعجبها لا كذاك الذي تمقته.

● ● ●

٤ ـ النيران في قلبها

جلست سارة على سياج الشرفة وهي تنتظر أن يجف شعرها بعد دقائق معدودة تحت أشعة الشمس فراحت تساعد على ذلك بتخليل أناملها في خصلات شعرها.

استطاعت من مكانها هذا رؤية وارن يصطاد السمك في المكان الذي تركته فيه عندما كانت تسبح. إنه ما زال حيث هو وكأنه صخرة لا تتزحزح.

لم يخاطبها عندما اقتربت منه إلا بكلمات ذكر فيها شيئاً عن سوء حظه في الصيد.

لم تنتظر سارة منه أن يكون رفيقها لمجرد السكن في المنزل نفسه لكن أقله تريد منه مشاركتها الحديث من باب اللياقة والأدب.

لكن ما جعلها تقبل هذا الصمت وهذا الوضع ما قاله تلك الليلة عن سعيه إلى الهدوء والسكينة. لذلك رضخت إلى رغباته احتراماً.

عندما كانت تراقبه شاهدته يلملم أغراضه وصندوقه ويشق طريق العودة إلى المنزل. فأسرعت إلى الحمام لتمرر المشط بسرعة في شعرها الذي كاد يجف، ثم زادت لمسة من أحمر الشفاه الكرزي الفاتح إلى شفتيها.

كانت تضحك من نفسها وهي تفعل هذا، فمن المضحك حقاً

التفكير في سعيها إلى التأثير على وارن كينكايد. كانت على وشك الخروج إلى الشرفة ثانية عندما رن جرس الباب.

خطر لها للوهلة الأولى أن كاثي قد عادت. فنظرت إلى الشاطىء لترى أن وارن ما زال على مسافة بعيدة من المنزل. عندئذ هزت كتفيها وقررت مواجهة تلك اللبوءة الخضراء العينين وحدها. أسرعت لتفتح الباب وإذ بها تجد ديرك ارميتاج ماثلاً أمامها، اتسعت عيناها دهشة فابتسم لها بمكر وقال:

ـ لقد تأخرت في الإجابة حتى ظننتني أخطأت العنوان.

ـ أهلاً بك ديرك.

انتظر بعد لتدعوه للدخول. وعندما استمرت في التحديق إليه، أمال رأسه جانباً وقال بلطف:

ـ أنسيت دعوتك إياي؟

علا الاحمرار وجهها إحراجاً فعمدت إلى الكذب بدل الاعتراف بأنها نسيت دعوتها إياه تماماً.

ـ لا لم أنسَ... ولكنني لم أتوقع قدومك بهذه السرعة.

نظرت إلى سروالها القصير وقميصها البرتقالي، وكأنها توحي إليه أنها لم تستعد بعد لاستقباله.

ـ لم ارتد ثيابي، وشعري لم يجف بعد.

ـ لكنك تبدين رائعة... هل ستأذنين لي بالدخول أم انتظر في السيارة إلى أن تستعدي؟

ـ أرأيت كم فاجأتني؟

فتحت الباب على مصراعيه لتدعوه إلى الدخول. وهي مرتبكة لسبب معلوم إذ عليها بعد لحظات تفسير سكن وارن كينكايد في المنزل نفسه معها. يا ترى كيف ستكون ردة فعل ديرك أمام هذا

الوضع الشاذ؟ بل كيف ستخبره عن الإنسان الذي طالما قالت بحقه كلمات رهيبة.

كانت وهي تقوده إلى غرفة الجلوس تفكر فيما ستقوله: هل تصارحه بالأمر أم تجعل من الأمر مزحة، أم ماذا؟ عليها الآن شيء واحد هو أن تخبره، قبل أن يدخل وارن كينكايد عليهما فيتعقد الأمر أكثر مما هو عليه من التعقيد. قال ديرك:

- إنه منزل جميل.
- أجل إنه جميل... ديرك... أنا...
- إنه قديم العهد.
- اعتقد هذا... أنا...
- هذا ظاهر... كل شيء فيه متناسق... والمدفأة رائعة... أفهم الآن جيداً سبب قبولك العيش فيه خلال إجازتك.

وتذكر فجأة الكيس الذي يحمله.

- اوه... هذا هو اللحم الذي وعدتك بإحضاره. لقد طلبت من اللحام قطعه قطعاً صغيرة وقد وعدني بأن يكون أطرى لحم ذقته في حياتي. ربما تريدين فتح الكيس وتحضير اللحم.
- نعم سأحضره.

توجهت إلى المطبخ وهي متأكدة من أنه لحق بها:

- ديرك. ثمة ما أريد إخبارك عنه.

وضعت الكيس على الطاولة منتظرة رده. لكنها عندما نظرت حولها فلم تجده صاحت:

- ديرك؟

عادت تنظر في ما حولها فإذا بها ترى باب الشرفة يفتح وديرك يطل منه.

- المنظر رائع من الشرفة.
- إنه ممتاز... ثمة شيء أود شرحه لك.

أشار إلى البحر:

- انظري... أترين تلك السفينة البعيدة هناك؟

لمحت سارة من بعيد صورة سفينة تمخر عباب البحر كما لمحت أمامها طريق البحر المؤدي إلى البيت خالياً من وارن الذي لا يبدو على مرمى النظر. لحظتئذ أحست وكأنها تجلس على قنبلة موقوتة توشك ثوانيها على الانتهاء.

هز ديرك رأسه ثم جال بنظره في الشاطىء المترامي.

- كم هذا مؤثر... أنت في الواقع تمتلكين المنطقة كلها لك.
- ليس بالضبط... فأنا...
- إنها معزولة تماماً. ألا تنزعجين من الوحدة؟

هذه فرصتها:

- أبداً... فأنا لست...
- سارة؟

لعلع صوت وارن فجمدت. أمّا ديرك فرفع بصره عن الشاطىء لينظر إلى الداخل، فإذا به يسمع صوتاً يدنو منهما شيئاً فشيئاً:

- لقد فتشت المرآب فوجدت المشواة التي يستخدمها فريدي. وكنت قد عزمت على تحضير العشاء لأنك حضرت الفطور.

ها قد انفجرت القنبلة الموقوتة... فأمواج الصدمة اجتاحت ملامح ديرك الذي رأى وارن يخطو نحوهما حاملاً مشواة فحم. ارتدَّ وارن دهشاً حين رأى ديرك.

- ارميتاج.
- لقد دعوته للعشاء.

ولم تضف أنها نسيت. ولكن هذا كان واضحاً في النظرة التي رمقت بها وارن فوضع المشواة من يده، ثم قال:

ـ أعرف كيف يبدو الأمر لك يا «ارميتاج» لكن صدقني الأمر كله خال من سوء النية.

وقطب ديرك حاجبيه، ثم ارتفع صوته بحدة من لا يصدق:

ـ أتسكن هنا يا كينكايد؟

فتدخلت سارة:

ـ لقد كنت أحاول أن أقول لك.

بدا في صوته الارتياب:

ـ لقد فهمت...

لكن وارن قاطعه:

ـ لا أحسبك فهمت شيئاً... اسمعني لقد حدث بعض الالتباس. فابنة عم ڤيولا عهدت إليها السكن في المنزل، بينما زوجها عهد إليّ بالأمر نفسه. وعندما اكتشفنا ما حدث لم نستطع تقرير من عليه البقاء ومن عليه الذهاب. وأخيراً اتفقنا على أن نبقى معاً.

ازدادت تقطيبة ديرك حدّة.

ـ أتعني أنكما تعيشان معاً في هذا المنزل؟

أحست سارة بتصاعد غضبه، فسارعت تكرر:

ـ كنت أسعى إلى طريقة انبئك من خلالها عن الوضع خشية أن تسيء الظن بعلاقتنا.

قال وارن بجفاء:

ـ نحن نتشارك السكن في المنزل لا في الفراش.

استدار ديرك وهو يفرك مؤخرة عنقه، محدقاً إلى وجه سارة:

ـ لا أصدق هذا... أنت تعيشين مع شخص كنت في الأسبوع

الماضي تودين لو يقفز في بحيرة جافة؟

لاحظت التواءً في فم وارن ووميضاً ساخراً في عينيه عند سماعه قول ديرك. لم تحاول يوماً اخفاء رأيها السابق به لكنها الآن تمنت لو أن ديرك لم يقل هذا.

قال وارن:

ـ الخير في أن تتباحثا هذا الوضع وحدكما.

هز رأسه اسفاً وابتسامة حزينة ملؤها الاعتذار تعلو شفتيه. فهزت سارة رأسها موافقة على اقتراحه لكنها لم تتكلم، فأي شيء ستقوله قد يزيد الوضع سوءاً.

ترك رحيله صمتاً متوتراً. بينما كانت تنظر إلى ديرك حائرة سمعت صرير باب المرآب يُفتح يتبعه صوت محرك سيارة وارن المتراجعة نحو الممر الخارجي. وحدقت إلى ديرك، مصممة على عدم الاعتذار عن وضع ليس فيه شيء من السوء.

قال ديرك وهو يضرب قضبان السياج براحة يده:

ـ لن أصدّق أنك قد وافقت على شيء كهذا.

فأخذت سارة نفساً عميقاً ثم قالت:

ـ صدقاً يا ديرك. أنت تجعل الأمر يبدو وكأنني هربت فجأة إلى معسكر الأعداء! الأمر ليس كما تتصور أبداً.

ـ أعرف... لكن مجرد رؤيته معك في بيت واحد صدمني، فكيف وقد اكتشفت أنكما تعيشان معاً.

أغضبها إصراره على وصف الوضع وكأنه وضع مشبوه فسارعت إلى القول:

ـ أكنت ستفكر بهذه الطريقة لو كنا نسكن في بناية واحدة وفي الطابق نفسه؟ ألا يشبه ذاك وضعنا الحالي؟

ـ لم يقنعني قولك هذا... لأن السكن في منزل لا يشبه أبداً السكن في بناية واحدة.

ـ أنا أنا فلا أجد فرقاً بين الوضعين.

ـ أنت حمقاء.

ـ اسمعني أرفض أن أناقشك في هذا الموضوع الليل كله ذلك أنني لن أبدّل رأيي!

ابتعد ديرك عن السياج ليواجهها... ثم قال متحدياً:

ـ ماذا تريدين سارة؟ أن أذهب؟ الظاهر أنك قد نسيت دعوتك إياي، فإذا فضلت نسيان أمر العشاء فسأذهب.

ـ لا أريد نسيان العشاء.

أجابته تلك الإجابة لأنها لا تريد أن يعتقد أنها تفضل رفقة وارن هذا المساء على رفقته مع العلم أن هذا الاستنتاج سيتوصل إليه مهما أنكرت.

ـ أريدك أن تشاركني العشاء... إن لم تعد إلى هذا الموضوع ثانية. خاصة وأنه لا يحق لك أن تنتقد تصرفاتي.

فتنفس بعمق، وهو ينظر إليها بعض لحظات ثم قال:

ـ حسناً، لا نقاش في هذا الموضوع بعد الآن.

التظاهر بأن شيئاً لم يحدث، لا يعني أن الأمر قد انتهى ووضع الأوساخ تحت السجادة لا يعني عدم وجودها. كانت النتيجة أن هذه الأمسية كانت اسوأ أمسية قضتها سارة في حياتها.

بعد وقت من ذهاب ديرك سمعت سارة صوت سيارة وارن، تلج المرآب. لكن وقع خطواته على الدرج هي التي جعلت أعصابها تنهار. كانت تنوي النوم قبل أن يحضر.

نظرت إلى ساعتها فإذا هي تقارب الحادية عشرة. استدارت عن

النافذة المواجهة للبحر لتنظر إليه وقد وصل إلى نهاية الدرج فسألها:

ـ هل ذهب ارميتاج؟

ـ منذ ثلاث ساعات.

تركزت نظراته عليها، حتى اضطرت إلى الاستدارة، خوفاً مما قد يراه في عينيها. كانت تشعر بقلق يقلص معدتها نتيجة ما مرّت به هذا اليوم.

سألها وارن بصوت منخفض:

ـ ألم يمر الأمر على ما يرام معه؟

نظرت إليه دهشة لكنها عادت فأشاحت وجهها بعيداً لتتجنب نظرة عينيه المحدّقتين، وإحساسها بالجاذبية النابعة من هذا الرجل القوي.

ـ لا... لم يمر الأمر على ما يرام.

ـ ألم يصدقك؟

ـ لقد صدّق أن الاتفاق بريء لكنه لم يوافق عليه.

ـ أظنكما تجادلتما ولهذا ترك باكراً.

فهزت رأسها نافية قوله:

ـ لم نتجادل.

ليتهما تجادلا لهان الأمر. لكن لو حدث ذلك لانقطع بينهما كلّ ود... ومع ذلك فبعد الليلة سيفترقان ليعودا فقط رب عمار وموظفته... بطريقة ما أحزنها أن تؤول علاقتهما إلى هذه النتيجة.

ـ أعرف أنك تعملين عنده، ولكن لم أفكر قط أنكما تخرجان معاً.

راقبته بطرف عينها فرأته ينظر إلى البحر، مفكراً، متجهم الوجه، عابس الجبين، في هذه اللحظة رغبت في أن تمد أناملها إلى وجهه لتمسح عنه هذا الوجوم الذي يذكرها بالسيد كينكايد المتغطرس

المستبد الذي كان دائماً يثيرها على الهاتف. قالت له مصححة معلوماته:

ـ لا شيء بيني وبينه. خرجنا بضع مرات دون أن يعني الأمر لنا شيئاً ولا أحسب أن لعلاقتنا سبيلاً إلى التطور.

ـ أبسبب الليلة؟

ـ لا... ليس في الواقع... فديرك يرفض أن تتحول أية علاقة إلى حقيقة واقعة وأظن أن بإمكانك دعوته بـ «الأعزب الدائم».

ابتسمت، فارتفع حاجبيه بفضول:

ـ ألا يزعجك هذا؟

ـ لا... فأنا أتمتع بالعمل معه، هو رفيق ممتع بعيداً عن العمل. لا أكثر ولا أقل من ذلك.

حرك النسيم طرف الستار، فضرب خصلة شعر تلتف قرب اذنها. لاح لها تثاؤبه الذي يكبحه بباطن يده. فأحست بالذنب، لأن حضور ديرك كان السبب في ابتعاده عن المنزل، فمما لا شك فيه أنه كان ينوي أن ينام باكراً بعد نهار راحة واسترخاء. فقالت مقترحة:

ـ الأفضل لك أن تنام.

فقال وهو يفرك مؤخرة عنقه من التعب.

ـ هل ستعتبرين الليلة منسية؟

ـ آه... لا أظن هذا، فأنا لست تعبة، وبما أنني في إجازة، فاستطيع النوم كما اشاء في الصباح. سأخرج قليلاً إلى الشرفة لأتمتع بهواء الليل العليل.

لم يتحرّك وارن عندما مرت به قاصدة الشرفة بل ظلّ واقفاً، بينما هي دنت من السياج الذي أمسكته بكلتا يديها ثم راحت تتأمل البحر وأمواجه الفضية.

كانت ليلة دافئة معطرة برائحة الملح. سمعت خطوات ثابتة وراءها فالتفتت لترى أن وارن انضم إليها، مع أنها حسبته قد أوى إلى فراشه. سألها بلطف:

ـ ما الأمر يا سارة؟

ـ ما الأمر؟... لا شيء.

ـ صحيح؟

بدت لها عيناه عميقتان كبحر لا قرار له. فأشاحت نظرها عنهما وحدقت أمامها، لتركز اهتمامها على الطريق الفضي الذي رسمه القمر فوق صفحة البحر.

ـ لست أدري ما تعنيه.

أمسكت أصابعه ذقنها ليدير رأسها إليه:

ـ ألا تعرفين؟ عندما دخلت الليلة إلى البيت لاحظت أن شيئاً ما يزعجك. في البداية خلت السبب ارميتاج وجدالك معه لكنك غيّرت انطباعي هذا، أنا أحب أن أعرف ما يزعجك.

حاولت سارة التخلص من اصابعه.

ـ لا شيء له علاقة بك.

أبقى يده كما هي ليجبرها على النظر إليه، ثم قال مجادلاً بهدوء:

ـ بل للأمر علاقة بي بشكل مباشر ربما أو غير مباشر ولدي شعور بأن السبب هو اتفاقنا... فهل أنا على حق؟

تنهدت سارة منهزمة، وقد لاحظت أنه قادر على قراءة أفكارها، لكن لم تدرِ أيعجبها هذا أم لا... تمتمت:

ـ الأمر سخيف.

ـ لماذا لا تقصيه عليّ؟

وأنزل يده بكل عفوية عن ذقنها لتستقر على كتفها، فقالت:

ـ أدركت وإن متأخرة أنني لست متحررة أو منطلقة فكرّياً كما كنت أظن فلم أفكر قط في أن آراء الناس ستؤثر فيّ ما دمت أؤمن بأن ما أفعله صحيحاً. وها أنا أجدني رجعية التفكير تقليدية أكثر مما ظننت.

ـ هذا بسبب رد فعل كاثي وتيد على العيش معاً في البيت وعدم موافقة ارميتاج على الأمر؟

ـ تقريباً، أعني، أنني أعرف تماماً أن الأمر ليس سيئاً.

ـ أنت إذن أعدت النظر في الإقامة هنا.

فضحكت، وقالت بصوت مرتجف:

ـ اوه... لا... أراهن أنك كنت تتمنى أن أقول لك هذا، عندما ستمتلك هذا القمر الكبير السمين وحدك.

رفعت رأسها إلى القنديل الفضي الضخم المعلق دون اتصال فوق البحر وأعادت نظرها إليه فرأت ثلماً عميقاً يشق جبهته بين حاجبيه وهو يتمتم بصوت عميق:

ـ يا للغرابة... أعتقد أنني سأجد المنزل فارغاً في حال ذهابك.

دار تصريحه في الهواء، ليكهربها، وليحجب عنها الهواء، حتى شعرت بأنفاسها تتوقف وبرعشة غريبة تجتاح معدتها فتقلصها. بدأت اليد المستقرة على كتفها تضغط رويداً رويداً وهي تجذبها إليه بينما أسرتها نظرة عينيه السّاحرة مانعة عنها أية مقاومة قد تبديها ولم تلبث أن أحاطت ذراعاه خصرها.

وبثبات يخلو من المطالبة، جالت يداه على ظهرها وكتفيها وشعرها ثم هبطت إحدى يديه إلى مؤخرة عنقها، ليستقر إبهامه فوق نبض يتطايّر بجنون بفعل الدم الذي غلى في عروقها مشعلاً جهاز الإنذار في كل طرف من أطراف أعصابها.

أبعد رأسه عنها قليلاً فاقشعر جسدها حيث شمّت رائحة التبغ

المنبعثة من أنفاسه الدافئة:

ـ رائحة الكرز أليس كذلك؟

فتحت عينيها بضعف لتغرق في نور عينيه الزرقاوين القاتمتين:

ـ ماذا قلت؟

ـ هل لأحمر الشفاه، رائحة الكرز؟

همست:

ـ أجل...

دون وعي عادت للالتصاق به.

ـ لطالما أحببت الكرز.

كانت ملاحظة عفوية، شكت سارة في أنه قد وعى ما قاله... طالبها دون كلام بالاستجابة، فأعطته ما أراد بسرعة وعفوية ثم راحت أناملها تحط فوق صدره صعوداً إلى عنقه وصولاً إلى شعره الكهرماني الأدكن الكث. أحست بالذوبان يبدأ في أطرافها، إلى درجة شعرت معها بالألم.

كان النسيم البارد يهب من البحر فينعش بشرتها، لكن برودته لم تطفىء النار التي اجتاحت عروقها.

العناق الذي بدأ بطيئاً ناعماً انتهى فجأة بدفعة من وارن أبعدتها عنه كلياً. أصابتها حركته المفاجئة هذه بالدوار. نظرت إليه فإذا بها تسمع تهدج أنفاسه المضطربة وترى البسمة القلقة المتألمة المرتسمة على وجهه. وقال بصوت منخفض:

ـ سامحيني على ما فعلت يا سارة.

ـ نعم...

ولكن لهجتها كانت سؤالاً أكثر منها رداً، فأضاف مطلقاً نفساً طويلاً:

ـ أنت مفعمة بالأنوثة ومعرضة للوقوع في الخطر أكثر مما كنت أظن.

فردت عليه والحيرة تأكل نفسها:

ـ وكذلك أنت. لكنني لا أرى دَاعياً إلى اعتذارك على معانقتي... ربما قلت لك انني رجعية، لكنني لا أغالي في الاحتشام.

فابتسم بخشونة:

ـ كم أتمنى لو كنتِ هكذا.

ـ هذا كلام غريب.

إذ لم يكن لكلامه معنى عندها...

ـ صحيح؟ (سألها دهشاً)

ترك ذراعيها، فأسندت نفسها دون دعمه وهي تشعر أن ركبتيها تصطكان وهي تجيب بإصرار:

ـ أظن هذا.

ـ لم يمرَّ على اتفاقنا أربعاً وعشرين ساعة وها أنا أوشك أن أخرق أهم بنوده «لا عواطف».

رغم لهجته الساخرة، فقد ارتفع اللهيب القرمزي إلى خديها، ثم غادرهما بالسرعة نفسها، ليترك وجهها شاحباً حالما أدركت صدق كلامه. لقد فقدت السيطرة فعلاً على نفسها. وليس هناك مجال للتأكد إلى أي مدى كانت ستتركه يذهب قبل أن تثوب إلى رشدها.

راقب وجهها الممتقع فترة قصيرة قبل أن يبتسم بلطف:

ـ تصبحين على خير سارة.

استدار على عقبيه ليدخل المنزل.

ـ تصبح على خير.

كان صوتها ضعيفاً، حتى شكت في أن يكون صوتها قد وصل مسمعيه. استدارت ثانية إلى البحر... ترتجف من برد فجائي غمر كيانها معيداً النيران التي تأججت في داخلها إلى الخمود من جديد.

تذكرت عندما قال لها إن الموقف بينهما لا يمكن أن يخرج من اليد إلا إذا سمحا له بذلك... وها قد اقتربا فعلاً من النار.

كان وارن أول من أدرك الأمر... وها هو يمتلك تفكيرها الآن.

● ● ●

www.elromancia.com

٥ ـ أريدك يا سارة

راح جرس المنبه يطرق طبلة اذنيها، فتثاءبت، ثم اضطجعت إلى جنبها... وهي تمدُّ يدها المرتبكة إلى الزر لتسكته ولكنها اكتشفت أنّ منبهها ليس مصدر الرنين ومع ذلك استمر صوت الجرس في إعلان موعد الصحو من النوم، عبست منزعجة ثم فتحت عينيها بحثاً عن مصدر الإزعاج، ما هي إلا ثوان قليلات حتى أدركت أن الصوت قادم من غرفة وارن ومنبهه. رفعت الوسادة الأخرى لتضعها فوق اذنيها، محاولة كتم الصوت، لكنه استمر يرنّ بإصرار. صاحت من تحت الوسادة:

ـ اوه... لماذا لا تستيقظ وتوقف هذا الشيء اللعين؟ سيجفوني النوم.

دفعت الوسادة بغضب، وخرجت من الفراش. وتقدمت لتضرب ضربة على جدار غرفة النوم، لكنها تذكرت متأخرة أن الحمام يفصل بين الغرفتين. وضعت الروب على كتفيها وخرجت إلى الردهة متجهة إلى غرفته. وضربت الباب بقبضتها:

ـ اسكت هذا المنبه!

لكن الصوت استمر:

ـ وارن!!!

سمعت صوت رفاصات السرير ترد، ثم ساد الصمت. فتنهدت

وأسرعت عائدة إلى غرفتها لتزحف تحت الأغطية، دون أن تخلع الروب وما أن أغمضت عينيها حتى سمعت بابه ينفتح، ووقع أقدامه الحافية الثابتة في الردهة.

انفتح باب الحمام، ثم انغلق، وبعد بضع ثوان تعالى صوت المياه المتدفقة التي كان لرذاذها على الجدار الفاصل تأثيراً ووقعاً أشد على الأعصاب من رنين المنبه. تأوهت سارة متألمة:

ـ أريد أن أنام...

بعد بضع دقائق انضم صوت آخر إلى صوت المياه فصاحت:

ـ اوه... لا! إنّه يغني... يغني في الحمام... هذا كثير!

رمت أغطية الفراش ثانية... لا فائدة من العودة إلى النوم الآن وتوجهت بغضب إلى المطبخ. فتحت باب البراد وأخرجت إبريق العصير ثم صفقت الباب، وأعادت الكرة بعد أن صبت كوباً وأعادت الإبريق مكانه.

بينما كانت ترشف العصير حضرت الإبريق الكهربائي لتصنع القهوة، آملة عندما تفتح المياه الباردة بأن تحرق المياه السّاخنة جسده في الحمام. بعد ذلك جلست على المقعد المرتفع قرب طاولة المطبخ الثابتة بانتظار غليان القهوة.

وما إن مرت ربع ساعة حتى كان إبريق القهوة يرسل آخر تنهيدة له. دخل وارن المطبخ من غرفة الجلوس، والسيجارة تتدلى من فمه بينما انشغلت يداه بتعديل ربطة العنق.

حالما شاهد سارة تجلس في المطبخ، عبس:

ـ لقد ظننتك ستنامين إلى وقت متأخر هذا الصباح... ماذا تفعلين هنا؟

نظرت إليه نظرة غضب:

ـ يا لجرأتك. كيف تسأل هذا السؤال؟

فابتسم بسخرية:

ـ هل أيقظك منبهي...؟

ـ منبهك، تبعه الماء، ثم ترنيمتك الساحرة.

تقدم منها ليضع السيجارة في المنفضة، فلمحت لمعاناً خبيثاً في عينيه:

ـ الكرز أخضر وفج هذا الصباح. أليس كذلك؟

ردت بحدة أخف:

ـ كنت لتكون مثلي لو أنت في مكاني.

ـ ثمة عصير؟

ـ في البراد، والقهوة جاهزة أيضاً.

نظر إلى كوب العصير الفارغ أمامها. وسألها:

ـ هل أصب لك القهوة؟

ـ بإمكانك أن تصبها.

صب وارن لنفسه كوباً من عصير البرتقال شربه قبل أن يحضر فنجانين من الخزانة، ملأهما قهوة ووضعهما جنباً إلى جنب على الطاولة ثم استدار ليجلس قرب سارة، متمتماً شيئاً عن ربطة عنقه:

ـ إنها غير مستوية؟

ـ لا...

سعى إلى تعديلها باللمس ولمّا لم تستوِ قالت له:

ـ دعني أحاول.

لم يجادلها وارن. وعندما انتهت، تفحص الربطة باصابعه ثم تحرك حاجباه بموافقة دهشة.

ـ إنها جيدة جداً... أين تعلمت هذا؟

ـ لدي أب وشقيقان، لا يجيدون جميعهم ربطها.

ارتشف قليلاً من قهوته:

ـ لا شقيقات لك؟

ـ إطلاقاً... سيكارتك في المنفضة.

مد يده ليطفئها ثم قال:

ـ لدي شقيقتان متزوجتان، تحتضن كل منهما صغارها.

ارتشف قليلاً من القهوة فحذت سارة حذوه لكنها عادت فقررت الانتظار إلى أن تبرد قليلاً:

ـ لم يتزوج أخواي بعد.

ـ والداك في شوق إذن إلى الأحفاد؟

ـ لست أدري... فوالدتي تقول إنها صغيرة على أن تكون جدة وهي تبدو دون شك صغيرة.

نظر وارن إلى الساعة الذهبية في معصمه، ثم ازدرد ما تبقى من قهوة:

ـ لقد تأخرت.

تردد قليلاً أمامها ليمد اصبعه تحت ذقنها.

ـ آسف لأنني أيقظتك باكراً.

أذابت الابتسامة المدمرة التي أطلقها كل دفاعاتها فزال عنها كل غضب تولّد من حرمانها من النوم ولكنها قررت أن لا تذهب بعيداً وتعترف بالأمر... وقالت:

ـ يجب ألا أحسب عادة التأخر في النوم على كل الأحوال.

وقبل أن تعرف ماذا ينوي انحنى ليقبل خدها بحنان ويقول:

ـ أتعلمين، وهذا أيضاً قد يصبح عادة لدي.

تراقص النور في عينيه. فودّت سارة لو يتوقف قلبها عن الخفقان.

داعبته بقولها:

ـ انك تنسى قوانين الاتفاق.

ـ اوه؟ هذا صحيح... لقد نسيت.

قال كلماته تلك وكأنه فعلاً قد نسي لكن وميض عينيه أخبر العكس. عندما ذهب بدا المنزل فارغاً.

كانت الساعة الثامنة والنصف، عندما دخلت سيارته ثانية مرآب المنزل ذلك المساء. ولكنها تماسكت كي تتصرف أمامه بهدوء وعفوية، وهي تراه مرهقاً، في يده حقيبة صغيرة.

سألته بعفوية ظاهرة:

ـ هل كان يومك شاقاً.

رفعت رأسها عن مجلة الأزياء التي تظاهرت بأنها تقرأها، فهز رأسه:

ـ تقريباً...

جلس على الأريكة الأخرى، فقالت:

ـ هل تناولت الطعام؟

نظر إليها تائهاً للحظات قبل أن ينتبه لسؤالها:

ـ ماذا؟ او... أجل... لقد توقفت في المطعم اثناء قدومي.

لم تشأ سارة إخباره شيئاً عن الطعام الذي احتفظت به ساخناً. أرادت أن تقول له: دع عنك العمل واسترح عندما رأته يخرج من الحقيبة أوراقاً ووثائق، لكنها آثرت الصمت، لأنها تذكرت أن لا شأن لها في ما يفعل وإن أراد أن يميت نفسه إرهاقاً.

أخيراً عند العاشرة والنصف، رمت المجلة من يدها وهبّت واقفة. فرفع وارن رأسه لينظر إليها مستفهماً. فقالت:

ـ لقد تأخر الوقت. سأذهب إلى النوم. تصبح على خير.

ـ تصبحين على خير.

ثم عاد إلى أوراقه.

ضمت شفتيها معاً، وسارت بحدة والدموع تكاد تخرج من عينيها، وطعم المرارة في فمها...

ـ اوه... على فكرة.

فالتفتت إليه بسرعة لتسمعه يقول:

ـ لقد ظهرت الوثائق اليوم.

ـ صحيح؟

ـ يبدو أنها لم تضع أصلاً، لكنها لم تكن في مكانها المخصص... ومن المؤسف أن أحداً لم يزعج نفسه بالبحث عنها.

تصاعد الغضب عندما أحست سارة بالسخرية الكامنة في طيّات كلماته، ولكن اهتمام وارن انصب من جديد على أوراقه. درست رداً لاذعاً له، وهي تتساءل هل يذكر أنها تعمل لديرك ارميتاج. ولكنها رفعت رأسها وتابعت سيرها إلى غرفتها.

اليومان التاليان كانا تكراراً ليوم الاثنين... تستفيق صباحاً على صوت منبه وارن الذي يعود متأخراً في المساء ليدفن نفسه في عمله وأوراقه.

أمّا هي فتبقى وحيدة إلا في ساعات الصباح الأولى وفي ساعات المساء المتأخرة.

ليلة الجمعة أوت إلى فراشها كالعادة بعد العاشرة بقليل تاركة وارن وأوراقه في غرفة الجلوس، نامت ما إن وضعت رأسها على الوسادة لكنه كان نوماً قلقاً متقطعاً، استفاقت منه بعد منتصف الليل بقليل وهي تحس بجفاف في حلقها فخرجت من السرير، وتوجهت نحو إلى بابها، لما فتحته فاجأها مصباح الردهة الذي أعشى بصرها،

فغطت عينيها بيدها ثم مدت الأخرى تفتش عن المفتاح لتطفىء هذا المصباح الذي تركه وارن مشعلاً لكن حسيس الأوراق في غرفة الجلوس، أوقف يدها.

تقدمت نحو غرفة الجلوس، حافية القدمين مغشية العينين فإذا بها تجد وارن جالساً على الأريكة حيث تركته منذ ساعات، يراجع أوراقه، ويسجل ملاحظاته على ورقة صفراء طويلة. قالت له بصوت أجش نعِس:

ـ ألم تخلد إلى النوم بعد؟

رفع وارن رأسه بحدة وقد فقد التركيز للحظات. ارتفع أحد حاجبيه وعيناه تنتقلان من سارة إلى ساعته الذهبية اللامعة تحت قميصه الملتف إلى الأعلى. لوى فمه قليلاً ثم عاد لينحني على أوراقه وهو يقول:

ـ أنا على وشك الانتهاء... لماذا استيقظت؟

ـ أحسست بالعطش.

تابعت طريقها إلى المطبخ، وهي تشك في أن يكون قد سمع ردها.

اثناء اقترابها من الأريكة رفع وارن يده إلى عنقه ليدلكه، ورفع كتفيه متعباً وتمتم:

ـ اللعنة... أنا تعب حقاً.

تابعت طريقها لتفتح الماء البارد.

ـ أخلد إلى النوم.

ـ يجب أن أنهي هذه الأوراق.

فتحت الخزانة لتأخذ كوباً، ثم قالت:

ـ ألم تقرأ قط قصة «ذهب مع الريح»؟ المكتوب فيها «غداً يوم

آخر».

ـ أريدها غداً باكراً.

ـ لا أعتقد أن الأرض ستتوقف عن الدوران إن لم تنهها.

ارتشفت قليلاً من الماء من الكوب وهي تلتفت إليه فإذا بها تكتشف أنه قد تبعها إلى المطبخ، وقد زالت تجعدات التعب حول فمه من جرّاء ابتسامة ولدتها دعابتها.

ـ هل بقي بعض القهوة؟

نظرت إلى الإبريق فلاحظت أنه غير موصول في الكهرباء:

ـ لو أن فيه قهوة فهي باردة.

فتح وارن الخزانة فوقه:

ـ أليس لدينا قهوة فورية؟

أشارت إلى الخزانة فوقها، دون أن تتحرك:

ـ إنها هنا.

تنحت قليلاً لئلا يصطدم رأسها بباب الخزانة عندما يفتحه. شربت الماء، ثم راقبته ينزل وعاء يضع فيه ملاعق في الفنجان سألته:

ـ ألن تسخن بعض الماء؟

ـ سيستغرق هذا وقتاً، وأنا أعتقد أن لا بأس بماء الحنفية السّاخن.

ترك الماء ينهمر إلى أن تصاعد البخار فعمد عندها إلى ملء فنجانه. كان يسند خصره إلى المغسلة قرب سارة وكأنه تعب غير قادر على دعم نفسه. مسح فمه وذقنه بيده ثم أخذ ملعقة ليحرك القهوة، لكنها أفلتت من يده لتقع على الأرض.

مدت سارة يدها لتلتقطها قبل أن تقع فمدَّ هو يده في الوقت نفسه فكان أن أمسك كل منهما بأحد طرفيها ثم استويا وهما يحملان

الملعقة معاً.

قال يؤنب نفسه:

- هذا عمل أخرق مني.

تركت سارة الملعقة فوراً ثم قالت في محاولة منها لإظهار عدم تأثرها:

- أنت تعب... عليك أن تأوي إلى الفراش.

- أهذه دعوة منك؟

رغم خشونة صوته إلا أنها وجدت فيه خيطاً رفيعاً صادقاً رفع قلب سارة إلى عنقها. فرفعت الماء إلى فمها لتشربه كله، ثم قالت:

- أنت تعرف ما أعني.

- آه...

لم تعرف ما إذا كانت هذه الـ «آه» «نعم» أم «لا». نظرت إليه لتوضيح الرد، وإذ بها ترى في نظرته ظلاماً بعث القشعريرة إلى جسدها ذاك أن عينيه انحدرتا من وجهها إلى شعرها وإلى كل جناح من حاجبيها، ثم استقرتا أخيراً على وجنتيها لتنزلقا فجأة إلى شفتيها.

لم تتوقف رحلة عينيه المحملقتين على شفتيها فقط بل تابعت المسير بكسل على جسدها النحيل. مثيرة فيها أحاسيس مغرية، محسوسة جعلتها في توق إلى أن ترتمي بين ذراعيه لتذيب جسدها فوق جسده القاسي القوي. أخذت أجراس الخطر تدق في رأسها بينما عيناه تتابعان رحلتهما نزولاً إلى الأسفل لتحس بانقباض في معدتها. أخيراً قالت محتجة:

- وارن... توقف عن هذا!

كانت إجابته أن تقدم منها أكثر، لتلتف ذراعه التي على الطاولة حول خصرها جاعلة منها أسيرة بين ذراعه والطاولة. أخذ الوهن

يُرجف ركبتيها والدوار يجتاح رأسها وتضاعف هذا الشعور مع تزايد ضغط ذراعيه حول جيدها.

لمست شفتاه مؤخرة عنقها واعدة بمزيد من الإثارة، أحست بهما رطبتين وبأنفاسه حارة.

- أريدك سارة. (همس بصوت كالفحيح).

عندما بدأ بتنفيذ الكلمات التي لم تعُد أن تكون فكرة في رأسها، انتبهت لخطورة الموقف فهي بغض النظر عن قوة جاذبيته، لن تكون لعبة في يدي رجل، يستغلها ثم يهجرها بعد أن ينتهي منها. ووارن قادر على هذا، ألم يتجاهلها عمداً طوال أربعة أيام؟

في لحظة، كانت منسجمة تذيبها لمساته، وفي اللحظة التالية تجمدّت بين ذراعيه ودفعته بعيداً عنها. واستدار ببطء وكأنه لا يصدق أنها هربت منه، أو أنها تريد أن تهرب منه.

قالت وأنفاسها تكاد تنقطع:

- لقد نسيت القوانين مرة أخرى يا وارن. إضافة إلى أن لديك أوراقاً تريد انهاءها.

تراجعت خطوة أخرى إلى الوراء:

- وقهوتك بدأت تبرد... تصبح على خير.

استدارت لتهرع إلى غرفة نومها... حينما كانت تقفل الباب. جاءها صوته الهادىء:

- وأنت أيضاً نسيت القوانين يا سارة.

ولم تجد رداً على قوله.

كان شعاع الشمس الأصفر يتسلل عبر الستائر عندما فتحت سارة عينيها في الصباح. رفعت رأسها عن الوسادة لتنظر إلى ساعتها

متثائبة: إنها السادسة. لا بد أنها استفاقت وكأنها تتوقع سماع جرس منبه وارن. وغطت رأسها بالوسادة.

عشر دقائق مرت، ولا أثر لرنين المنبّه، فظنت عند ذلك أنه قد أخر موعد نهوضه بعد ليلة من السهاد والعمل.

نزلت من السرير، فارتدت روبها ثم خرجت إلى الردهة، فإذا ببابه مفتوح. نظرت إلى الداخل... لترى للمرة الأولى فراشه مرتباً! عادة هي من ترتبه له بعد أن يخرج.

فكرت في أنه إما قد خرج باكراً أو... أو أنه لم يمسَّ الفراش أصلاً. لعله ارتدى ثيابه حالما أنهى عمله ثم خرج. أو...

سارت على أطراف اصابعها إلى غرفة الجلوس، وهناك وجدته... نصف جالس ونصف مستلق فوق الأريكة، بثيابه وحوله الأوراق منتشرة... بدا متعباً جداً حتى كرهت فكرة إيقاظه، لكنه بدا كذلك غير مرتاح.

أخذت تجمع الأوراق بأكبر قدر من الهدوء فرتبتها ووضعتها فوق حقيبته ثم سعت إلى وضع وسادة تحت رأسه ونجحت في ذلك. بعد هنيهة تساءلت ما إذا ستتمكن من رفع ساقيه عن الأرض دون أن توقظه.

تحرك فجمدت دون حراك. حدقت العينان الزرقاوان الناعستان فيها عبر رموشه السوداء المسترخية وتقلب في مكانه، ثم ابتسم بعد أن تعرف إلى ما يحيط به:

ـ كم الساعة الآن؟

ـ السادسة والربع.

تثاءب ثم فرك جبينه:

ـ مستحيل، كنت أنوي فقط إراحة عيناي بضع دقائق.

ـ إنك بحاجة إلى مزيد من الراحة فمنظرك مريع.

ـ لا استطيع.

استوى جالساً فقوَّس ظهره ثم بسطه:

ـ لدي اجتماع باكر. وعلي الذهاب إلى المكتب.

لا جدوى من الجدال معه لأنه لن يصغي إليها. قالت:

ـ سأصنع لك القهوة.

دخل وارن الحمام ليغتسل ويغير ثيابه. ثم خرج فإذا بالعصير ينتظره في المطبخ. أقنعت نفسها انها إنما تفعل هذا شفقة. بعد شرب العصير قال براحة:

ـ لقد ساعدني هذا كثيراً.

فقالت له:

ـ أنت حقاً بحاجة إلى المزيد من الراحة يا وارن... عليك أن تنام قليلاً بدل العمل طوال الليل.

فهز كتفيه:

ـ كان يجب أن أنهي العمل.

تقدم من المغسلة ليضع الكوب الفارغ فيها، فقالت بلهجة احتجاج:

ـ أنه العمل في المكتب وابتعد عن إحضاره معك إلى البيت.

ـ أتمكن هنا من إنجاز أضعاف ما أنجزه في المكتب، فليس هنا من يزعجني أو يقاطعني... بل فلأقل إنَّ لا إزعاج كبير هنا.

نظر إليها بخبث وهو يقول الجملة الأخيرة. فتظاهرت بأنها لم تفهم ما يقصد. هزت كتفيها وهي تنزل عن المقعد المرتفع:

ـ لا يهمني إن قتلت نفسك في العمل.

فراقبها بفضول:

- إلى أين أنت ذاهبة؟
- لأستحم وأغير ملابسي.
وبدأت تقطع غرفة الجلوس:
- سارة؟
فتوقفت لتلتفت إليه، فقال مبتسماً:
- شكراً على إيقاظك إياي.
فردت عليه ابتسامته، وأسرعت في خطواتها إلى الحمام. وعندما خرجت منه كان قد غادر المنزل.

الأيام الأولى من إجازتها بدت وكأنها مرت بسرعة. أما هذا اليوم فقد بدت ساعاته طويلة. فها هو العصر قد حل، وهي مع ذلك تحس بالضجر والتوتر. لقد استلقت في الشمس قدر الإمكان، ثم استلقت في ظلال الشرفة، على كرسي نوم طويل تقرأ كتاباً، لكن الكتاب لم يأسر اهتمامها.

تنهدت، ثم وضعت قصاصة ورق بين الصفحات لتعرف أين وصلت في القراءة بعد ذلك ونحّت الكتاب جانباً. وقفت لتسير نحو السياج، رافعة وجهها لتستقبل نسمات الريح الباردة الآتية من البحر.

كانت ترتدي ثوب الاستحمام البرّاق المؤلف من قطعة واحدة وهو ثوب أزرق رمادي... لعل الخير لها في ارتداء ملابسها والذهاب إلى مطعم من المطاعم المنتشرة على الشاطىء لتتناول العشاء.

استدارت دهشة عند سماع جرس الباب يقرع. من هذا الزائر في هذه الساعة من يوم الجمعة؟ كل اصدقائها في العمل. لكن، ربما هو أحد الباعة المتجولين.

هبطت الدرجات إلى الباب ثم اختلست النظر عبر ثقب الباب فإذا بها ترى طيف ديرك الواقف في الخارج، فتحت الباب لتتأكد مما

ترى، وقال مبتسماً:
- كنت آمل أن أجدك.
- لكن يجب أن تكون في عملك!
- صحيح.
دخل إلى المنزل بعد أن ابتعدت لتفسح له مجالاً للمرور.
- كان اسبوعاً مضنياً ذاك الذي فات. طلبت اليوم من رب العمل إذناً بالخروج وإن لم يُعجبه الأمر، فليشق الصخر.
- هل كان الأسبوع سيئاً لهذه الدرجة؟
- بل أسوأ مما تتصورين.
فقالت ممازحة:
- إلى أي مدى قد ينعشك عصير البرتقال البارد؟
- إنه خير الآن من جائزة. أوصليني إليه أرجوك.
ضحك فقالت وهي تصعد السلم:
- الحقني إذن. إنه في البراد.

بعد بضع دقائق كان ديرك مستلقياً على كرسي نوم طويل، وفي يده كوب عصير بارد مليء بمكعبات الثلج، وأمامه على الطاولة الإبريق شبه الفارغ.
قال متنهداً براحة:
- والآن... هذه هي الحياة... هدوءٌ وسكينة ومنظر خلّاب يطل على البحر. فكرت ملياً في هذا المنظر الأسبوع الماضي.
تنهدت سارة ساخرة:
- وأنا من كنت أظن أنك تجشمت عناء قيادة سيارتك كل هذه المسافة لرؤيتي.
- اوه... بل هذا كان قصدي.

غرق أكثر في كرسيه وأكمل:
ـ لم أكن أعرف قدر سكرتيرتي حتى ابتعدت عني في إجازة.
ـ كيف يسير العمل مع جيني؟
ـ تكاد تدفعني إلى الانتحار...
دافعت سارة عن زميلتها وبديلتها، بينما كانت تبتسم بتفهم:
ـ إنها سكرتيرة كفوءة حقاً.
ـ حقاً... إنها كذلك. تثرثر كالغراب طوال النهار، وتقول أتفه الأشياء وأغباها. إني إلى الآن لا أعرف ما إذا كانت ساذجة بلهاء حقاً أم أنها تمثل السذاجة اعتقاداً منها أنه الظُرف بعينه.
ـ أخشى أن يكون الكثير من تصرفها حقيقياً.
ـ أشكر الله لأنه لم يبق سوى أسبوع واحد تعودين بعده إليَّ.
ارتشف نصف كوبه، ثم تابع:
ـ إن طال غيابك أكثر فسأقدِّم استقالتي.
ـ فكرت في تقديم إنذار لمدة اسبوعين وأقترح أن تأخذ جيني مكاني بصورة مستمرة.

انفجرت بالضحك عندما قفز ديرك عن كرسيه واقفاً ليمسك يدها، وشدها أكثر ليوقفها على قدميها ثم جذبها بين ذراعيه ورفعها عالياً ثم تقدّم بها إلى سياج الشرفة. صاحت ضاحكة بقوة حتى كادت الكلمات لا تخرج من فمها.
ـ أنزلني... يا ديرك!
ـ اسحبي ما قلته وإلا فليساعدني الله سأرميك من هنا!
لكن لم يكن في عينيه اللوزيتين المتراقصتين دليل على تنفيذ ما يقول.

●●●

٦ ـ ذراع دافئة

ـ أسحب كلامي! أسحب كلامي!
قالت سارة هذا شاهقة من بين أنفاس قطعها الضحك. أرجعها ديرك من فوق السياج ثم ترك لقدميها السبيل إلى الأرض وهو يقول وابتسامة عريضة تعلو شفتيه:
ـ لا تكرري هذا الكلام ثانية ولو مُزاحاً.
أسندت كتفها إلى صدره ثم أجابت لاهثة:
ـ لن أكرره... صدقني.
ـ هذا أفضل لك...
ـ أهذا هو المكان الذي تذهب إليه أرميتاج عندما تقول لهم في المكتب انك في عمل؟
سؤال وارن اللاذع مسح الابتسامة عن الوجهين. استدارت سارة بحدة لتراه واقفاً في الباب، ربطة عنقه محلولة والزر الأعلى للقميص مفتوح. بدا تعباً ومتوتراً وغاضباً أشدَّ الغضب.
أجاب ديرك بهدوء أعصاب:
ـ المكتب على علم بأنني في إجازة اليوم.
فصاح وارن:
ـ لكن سكرتيرتك لم تقل هذا.
تمتم ديرك من بين أسنانه:

ـ لقد فعلتها جيني ثانية!

عرفت سارة أن بديلتها اعتقدت أن من السياسة القول لزبون ديرك انه يعمل بدل أن تقول انه في إجازة. فقالت تدافع عن ديرك:

ـ إنه لقرار غير حكيم من سكرتيرة ديرك المؤقتة عدم إعلامك بحقيقة الوضع.

استدار إليها وارن ليقول:

ـ ها قد عدت من جديد إلى تمثيل دور السكرتيرة المخلصة التي تهرع للدفاع عن رئيسها.

ارتفع ذقنها إلى فوق متحدية:

ـ أحاول فقط أن أصحح معلوماتك.

التوى فمه بسخرية:

ـ صحيح؟

ـ قل لي، ماذا تفعل هنا يا وارن؟ لماذا لست في مكتبك؟

فقال بغضب:

ـ أنسيت أنني قضيت الليل منكباً على العمل.

ـ إذن قررت العودة باكراً. فهل أنت واثق من أن سكرتيرتك تقول الحقيقة لكل من يسأل عنك؟ أم أنها تختلق بعض الأعذار، كما فعلت سكرتيرة ديرك عندما اتصلت به؟

رد وارن بصوت ملؤه الشك:

ـ يبدو هذا ممكناً.

فقالت سارة:

ـ هكذا تبدو الحقيقة دائماً.

تجولت عيناه الباردتان فيها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، حدق في ثوب السباحة البراق الذي يكشف عن قسماتها بسحر

واغراء، ثم قال:

ـ لكنني لا استطيع إلا أن أتساءل كم من المرات جاء فيها أرميتاج إلى هنا في الأسبوع الفائت في الوقت المفترض فيه أنه يعمل.

أنهى كلامه بحدة ثم رجع على عقبيه إلى الداخل. بدا وضع كتفيه العريضتين المتكبرتين وكأنهما كتفي ثور. أسرعت سارة تريد اللحاق به إلا أن ديرك منعها، لأنه لاحظ الإشارات الخطرة التي بدأ غضبها يرسلها:

ـ اتركيه الآن يا سارة.

لكنها جذبت ذراعها منه واندفعت خلف وارن إلى غرفة الجلوس حيث وجدته يوشك على خلع ربطة عنقه وحدّق فيها ببرود. فأطلقت سارة عقال غضبها بسيل من الكلمات اللاذعة.

ـ لا شأن لك في أن تعرف عدد المرات التي زارني فيها أضف إلى ذلك إنه ضيفي و...

فقاطعها وارن بحدة:

ـ كان يفترض بك من باب الحشمة إعلامي بأنك ستستقبلين رجلاً الليلة، لأرتب أموراً أخرى، ولأخلي لكما الجو.

ـ تتهمني بأنني لا أملك الحشمة؟ وماذا عن حشمتك أنت؟

ـ أنا؟ أتعتبرينني غير محتشم لفظاظتي مع أرميتاج؟

لوى فمه ازدراءً، فصاحت سارة:

ـ هذا من بين أشياء أخرى.

أرجع رأسه إلى الوراء ليدرسها بعجرفة، ثم قال:

ـ وما هي الأشياء الأخرى؟

ـ لقد كان منبهك يوقظني كل يوم خلال الأسبوع الفائت، بينما تبقى أنت نائماً وهو يتابع رنينه.

ـ لقد اعتذرت لك عن هذا.
ـ ولكن الاعتذار لا يعيد النعاس إلى جفوني.
فرد متحدياً:
ـ إذا كان اتفاقنا هذا لا يعجبك، فلماذا لا تغادرين المنزل؟
ـ أنا لن اذهب! بل اذهب أنت!
ـ لماذا أذهب؟ كي يتمكن أرميتاج من السكن معك سيكون هذا حميماً لكما.
ـ صحبته ستكون بالتأكيد أفضل من صحبتك!
رمى وارن كلماته بوحشية:
ـ بالتأكيد، إذ لن يكون بينكما اتفاقات أو قوانين، أو غرف منفصلة وأسرة منفصلة!
فصاحت باحتقار:
ـ إن لتفكيرك قذارة كلماتك! يجب أن تتزوج من كاثرين، لأنكما من الجنس عينه.
قال ديرك الواقف في باب الشرفة:
ـ أنا ذاهب، لم أجيء إلى هنا لأبدأ شجاراً مفتوحاً.
استدارت سارة مصعوقة لأنها كانت قد نسيت وجود ديرك:
ـ لا تذهب يا ديرك... فوارن كان خارجاً لتوه.
صاح بها وارن:
ـ والله لن أخرج! وعليك إما استقباله وأنا في المنزل أو الذهاب إلى مكان آخر. لكنني لن أخرج أبداً.
ـ عظيم...
التفتت إلى ديرك:
ـ أعطني بضع دقائق لأرتدي ثيابي وسأخرج معك.

هز ديرك رأسه ثم ذهبت سارة إلى غرفتها، فخلعت ثوب السباحة، وارتدت ثوباً صيفياً مكشوفاً برتقالي اللون، وعادت على عقبيها إلى غرفة الجلوس التي عمّها الآن صمت وهدوء متوترين.
كان ديرك ينتظرها في أعلى السلم عندما خرجت من غرفتها. رمقت وجه وارن المتجهم ثم تقدمت نحو ديرك، وهي تقول لذاك الأرعن ببسمة باردة:
ـ خذ المنزل كله لك هذا المساء. بإمكانك التمتع فيه بكل الهدوء والسكينة التي ترغب فيها...
انقلبت الحلاوة إلى وحشية وهي تضيف:
ـ وأرجو أن تهشمك!

تقدمت رافعة رأسها لتنزل السلم. بينما كانت تسير على الرصيف خارج المنزل ارتفع وقع نعلي حذائها دليل الغضب الذي يعقل نفسها. تقدم ديرك ليسير إلى جانبها، موسعاً خطاه ليماشي خطوتها السريعة، قال بعد تردد:
ـ نظراً للظروف هذه يا سارة، ألا تظنين أن من الأفضل لك أن تعودي إلى شقتك لقضاء الأيام الأخيرة من الإجازة.
ـ وأترك ذلك الرجل يربح؟ لا قسماً! لن يكون له هذا الرضى. سأجعل حياته جحيماً كما يفعل بحياتي.

توقفت قرب سيارته تنتظره ليفتح لها الباب، وعندما تأخر التفتت إليه لتلاحظ التعبير المتألم على وجهه:
ـ ما بك يا ديرك؟
كان في صوتها رنة غضب ما زالت عالقة فيه، فتمتم دون ارتياح:
ـ لست أدري كيف أخبرك.

كاد صبرها ينفذ من جديد:

ـ تخبرني ماذا؟

أبعد نظره عنها:

ـ أنا على موعد مع فتاة أخرى.

ـ لديك ماذا؟

ـ هذه قمة سخرية القدر!

كادت سارة تنفجر في ضحكة مريرة.

ـ أنا آسف يا سارة. لقد فكرت أن أزورك طلباً للرَّاحة وتجاذب أطراف الحديث وفي نيتي الخروج قبل عودة وارن.

أما هي فقد اعتقدت أنه جاء يسامرها. هذا قمة الغرور. نظرت إلى المنزل الذي لا يمكنها العودة إليه الآن، ليس قبل وقت طويل. فلو علم وارن الحقيقة لن تنجو من لسانه السليط بسهولة وقالت:

ـ لا بأس يا ديرك... فهذا ما أستحقه.

ـ ماذا ستفعلين؟

ـ وهل أرجع لأفسح له مجالاً للسخرية؟... بالتأكيد لا. سأقصد مكاناً ما، هل لك بانتظاري لأخرج سيارتي من الكاراج.

ـ بالطبع سأنتظر.

وابتسم لها، فهذا أقل ما يمكنه فعله بعد أن خذلها. فليفكر هذا المتعجرف بما يريد عندما يراهما من حيث يقف الآن في سيارتين مستقلتين.

تصاعد غضبها إلى ذروته فرجعت بشكل أخرق إلى الوراء دون أن تلوي على شيء. وعلى الفور غيرت غيار السيارة من الرجوع إلى الانطلاق ثم داست دواسة السرعة حتى الأسفل، تصاعد صوت صرير

الإطارات فوق الطريق اثناء اندفاع السيارة إلى الأمام، تاركة ديرك خلفها.

كانت أتعس أمسية أمضتها سارة في حياتها. فقد تركت ساعتها في غرفة النوم، وتعطلت ساعة السيارة، لذلك عندما عادت كانت تجهل تماماً الوقت بالتحديد. أدخلت السيارة إلى المرآب، وهي تفكر في أنها تأخرت في العودة إلى المنزل فالظلام قد حلَّ منذ ساعات.

أحست بلسع هواء الليل البارد فأسرعت عبر الباب الموصل من المرآب إلى مدخل البيت. ثم شرعت ترتقي السلالم بقلق.

قبل أن تصل إلى رأس الدرج، أحست بقشعريرة تمر في مؤخرة عنقها، فرفعت رأسها لتشاهد وارن يقف فوقها على رأس السلم، مفتوح القميص المتدلي خارج سرواله. كان في نظرته اسوداد مرعب. أما قسماته فكأنها قدت من صوان:

ـ أين كنت بحق الجحيم؟

ـ أمر لا يخصك.

مرت أمامه لكن أصابعه أمسكت معصمها بقوة:

ـ ألديك نكرة عن الوقت؟

ـ لا... لا أعرف. ولا أرى أن الأمر مهم.

ـ الساعة الآن تقارب الرابعة صباحاً. وأنا أريد أن أعرف أين كنت.

أحست بالألم من قبضة يده الفولاذية:

ـ لن أقدِّم لك كشف حساب عن مكان ذهابي... فاتركني أرجوك. أنا تعبة.

ـ سأتركك، حالما تجيبي عن سؤالي.

ـ لقد قلت ان هذا ليس من شأنك.

كانت تعبة غير قادرة على خوض جدال مع وارن كنيكايد، وقال لها:

ـ أعلم أنك لم تكوني مع أرميتاج.

شحب وجهها ولكنها تحدته:

ـ ألم أكن؟

ـ لا لم تكوني.

لم يكن في صوته أثر لريبة أو شكّ عندما أردف:

ـ لأنني لما ذهبت إلى منزله اسأله عنك أجابني أنك ما كنت في مزاج يسمح لك برفقة أحد، فتركته إلى مكان لا يعرف ما هو.

شكرت سارة في سرها ديرك لأنه أنقذ ماء وجهها فلم يعترف بأنه كان على موعد مع فتاة أخرى تلك الليلة. لكن هذا لم يخرجها من ورطتها الحالية.

ـ ما زلت في مزاج لا يسمح لي بمرافقة أحد، خاصة أنت! والآن اتركني!

حاولت تحرير يدها من قبضته. لكنه استغل حركتها ليلوي ذراعها خلف ظهرها وليضمها إلى صدره وهو يقول آمراً بغضب:

ـ لا يهمني إن كنت بمزاج حسن أم لا... ستجيبين عن سؤالي.

ردت عليه بعنف:

ـ لن أجيب.

أمسكت يده الأخرى بشعرها، لتمسك أصابعه الخصلات القصيرة ويشد رأسها إلى الوراء كي ينظر إلى وجهها. ثم قال متهماً:

ـ هل كنت تتسكعين؟

ـ قصدت صديقاً تناولت معه شراباً. فهل هذه جريمة؟

ـ الطريقة التي ندت فيها سيارتك من هنا كانت تحمل علامات الانتحار. لقد اتصلت بالشرطة مراراً وأنا على ثقة من أن مكروهاً قد أصابك خاصة بعد أن عرفت أنك لم تكوني مع أرميتاج.

ـ لم يصبني سوء وها أنا سالمة. هل أبدو كمن تعرّض لأذى أكبر من الأذى الذي سببته لي.

راحت الدموع تغشى بصرها، وكانت تعني تقريباً ما تقول.

ـ اترك ذراعي! ستكسره إن استمريت في لويه هكذا.

ضغط عليها أكثر:

ـ أتمنى أن يؤلمك أكثر بعد ما سببت لي من رعب الليلة. أنت تستحقين العقاب.

ضحكت سارة بمرارة وألم:

ـ ما سببته لك؟ أيها الثور المتعجرف العنيد.

لم يعطها وارن فرصة لإتمام سيل إهاناتها. بل أسكتها بعناق ساحق بعد أن ترك ذراعها ليضم جسدها إلى صدره بقوة. رغم عناقه الجامح الذي بغى منه عقابها استجابت له. أرادت أن تكافح، أن تقاتل لتتخلص من عناقه لكن يديها تسللتا إلى داخل قميصه، باحثة عن حرارة بشرته العارية. أما رأسها فراح يدور ويدور فوق صدره يحتك وجهها فيه بشدة وألم، حتى أحست بالارتباك من ردة فعلها هذه.

عندما أبعدها عنه، لم تستطع فتح عينيها لتنظر إليه، لأنها ما زالت ترتجف من قوة استجابتها الغريبة له. أحست بفمها وذقنها وكأنما ما زالا يحتكان بشعر صدره.

ـ بالله عليك يا سارة... أين كنت طوال الوقت؟

كان في صوته رنة غريبة. أشبه بالألم. أخذ يمر يده على شعرها

برقة وهو يتابع كلامه:

ـ لقد كدت أجن من القلق خوفاً من أن يكون مكروه قد أصابك.

ـ حقاً؟

أخذت نفساً عميقاً وهي تخشى أن تصدّقه. فابتسم.

ـ أجل... هذا صحيح.

أحست بخفقات قلبه غير المنتظمة تحت يديها، واشتدت ذراعاه ثانية حولها، وعاد الإلحاح إلى صوته:

ـ صديقك الذي كنت عنده... رجل أم امرأة؟

ـ إنها جولي، صديقة الطفولة.

بدأت تحرك رأسها ثانية وقد أخذ يداعب أذنها... فقال بغضب ساخر:

ـ أعتقد أنكما قضيتما الليل في قيل وقال، بينما أنا أذرع الغرفة قلقاً.

ـ ليس الليل كله لأنني تركتها عند الحادية عشرة.

كان يمرر يديه فوق كتفيها، وكانت هي تتمتع دون خجل بالإحساس الذي تبعثه هذه الحركة فيها. عندما سمع إجابتها تلك رفع رأسه عابساً:

ـ وأين كنت منذ الحادية عشرة؟

ـ كنت أتمشى على الشاطىء.

ـ وحدك؟

علمت أن الأمر غباء منها فأجابت بصوت منخفض:

ـ أجل.

ـ تستحقين الجلد حتى الموت على هذا! أكنت تتمشين فعلاً على الشاطىء مدة ثلاث ساعات؟

كرر كلامها وكأنه غير قادر على التصديق، لكنها لم تفكر مطلقاً بالمخاطر التي عرّضت نفسها لها وقالت:

ـ أعتقد هذا.

ـ اوه يا سارة. كنت أعلم أنه ما كان يجب أن أتركك تذهبين مع أرميتاج.

فضحكت:

ـ لم يكن في وسعك إيقافي. كنت غاضبة حتى أن حائطاً من الحجر الأصم ما كان ليوقفني وأنت السبب في هذا كله.

ـ أنا؟!

ـ أنت من بدأت الشجار. لو لم تكن فظاً مع ديرك، لما فقدت أعصابي.

ـ ماذا كان يفترض بي أن أفكر؟ اتصلت بمكتبه فقالت لي السكرتيرة انه خرج في عمل. وعندما وصلت إلى هنا وجدته يحملك بين ذراعيه...

ـ كان بإمكانك أن تمنحه البراءة لعدم كفاية الأدلة. بدل القفز إلى استنتاجات مخطئة غير عادلة.

قال لها منتقداً:

ـ كيف تعرفين أن استنتاجي كان غير عادل ومخطىء؟

ـ لأن ليس من طبع ديرك الكذب. إنه صادق ذكي ويعمل جاهداً كما تعمل أنت وقضيتك ليست القضية الوحيدة التي يرميها المكتب على كاهله وكل التأخير الذي حصل سببه آخرون وهذه أمور لا ذنب له فيها.

والتوى فمه:

ـ ها قد عدت من جديد لتدافعي عنه!

ـ وماذا علي أن أفعل غير هذا وهو غير موجود ليدافع عن نفسه؟

أرادت الابتعاد عن ذراعيه لكنه أحكم إمساكها:

ـ سارة، لا أريد المشاجرة.

ـ لا؟ أنت تريدني؟

طافت عيناه في وجهها تسأل مع سؤاله:

ـ وأنت؟

بدأت نبضاتها تتسارع من جديد، والخدر يسري إلى إحساسها، لكن عقلها رفض أن يتخلى عن دوره. كان ردها بصوت لاهث مقطوع الأنفاس:

ـ لا... لا... لا أريد.

اتسعت زاوية واحدة من فمه بابتسامة ماكرة غريبة:

ـ كاذبة.

ـ لقد اتهمتني بهذا مراراً يا وارن. وأنت مخطىء هذه المرة كخطأك في المرات السابقة.

ثم انتزعت جسدها بعيداً عنه وولّت مبتعدة وهي تشعر بنظراته، تشل ظهرها. كان عليها إجبار نفسها على السير بهدوء وألا تستسلم لرغبتها في الهرب إلى غرفتها بسرعة.

ما إن أقفلت الباب وراءها حتى راحت ترتجف بعنف... إنها مسحورة به إلى حد بعيد... لقد تعرفت إلى الدلائل... وإلى الامتزاج الغريب بسحرهما معاً.

هو دون شك يدرك أنها جذابة جداً وقريبة من متناول يده ورغبته فيها هي جزء من الخطر الذي ورثه بمشاركته إياها المنزل نفسه. كانت تعرف أنها لن تستطيع قبوله حبيباً مؤقتاً لأن ذلك أمر غير حكيم.

بينما كانت توشك على إطفاء النور للخلود إلى النوم فُتح الباب، فجمد اصبعها فوق الزر عاجزة عن الحراك ذلك أن وارن ملأ جسده الباب، فبدا شعره الكهرماني يلمع ويميل إلى الاسوداد أمّا عيناه فاعتمّ لونهما الأزرق حيث قارب الاسوداد. أحست برغبة وتوق إليه لكنها نفتهما بكلماتها:

ـ وارن أريد أن أنام.

ـ أجل... لكنك ستنامين في فراشي حيث يجب أن تكوني.

مد يده إليها، فحاولت الاحتجاج... لكنها عرفت أن الاحتجاج لن يمنعه لذا سارعت إلى الوسادة فوق السرير فرمته بها، آملة أن تهرب من يديه للحظات، لكنه أبعد الوسادة بضربة من ذراعه ثم انقض عليها ليمسك خصرها قبل أن تنزلق من الناحية الأخرى من السرير.

ورماها دون جهد فوق كتفيه اللتين تلقتا وظهره ضربات قوية بينما أخذ لسانها يتهمه ويذم تصرفه الذي يعود إلى أيام رجال الكهف... فقال:

ـ اصرخي ما شاء لك الصراخ... فلن يسمعك أحد، وأنت لم تثقبي طبلة اذني بعد.

ـ أنزلني فوراً.

فتح باب غرفته برفسة من قدمه ثم رماها فوق سريره لتختفي صرختها المرتفعة على الوسادة التي غرق وجهها فيها. أحست بالصدمة ومضت لحظات قبل أن تستعيد جأشها. لمّا انقلبت إلى جانبها، شاهدته يخلع قميصه وكأنه بذلك يخلع البرقع الشفاف للتحضرّ الذي يفصل البشر عن الحيوان. تقلصت معدتها لرؤيته.

استغلت استدارة ظهره لها لتكمل دورتها فوق السرير. لكن يده

سارعت للإمساك بكتفها ليجبرها على البقاء، وطقطق السرير وهو يتلقى وزنه. وكانت مقاومتها دون جدوى، فقوته العامرة ألصقت كتفيها بالسرير. أمسكت ذراعيه تحاول دفعه بعيداً عنها، وأدارت وجهها بسرعة من جانب إلى جانب تجنباً لفمه. لكن هذه الحركة لم تمنعه من وضع شفتيه على خدها.

رغم محاولاتها المذعورة للخلاص منه إلا أن شيئاً من التجاوب اجتاح جسدها عند لمسة يديه لها.

شهقت بحذر وقالت:

ـ وارن... ماذا عن تلك القوانين؟

ـ فلتذهب كل القوانين إلى الجحيم.

ـ لكنك تحب يا وارن. وأنت لا تعرف ماذا تفعل.

لم تعد تعرف ماذا تفعل هي ولماذا. فقال:

ـ ربما لكنني مسرور هكذا، مهما يكن الأمر.

سمعت زئيراً يصم أذنيها كان مصدره ضربات قلبها.

ـ وأنتِ كذلك مسرورة بما يجري، يا فتاة الكرز... إياك أن تنكري هذا.

لكن استسلامها لم يكن كاملاً إذ عادت إلى الاحتجاج.

ـ وارن.

ـ نعم يا فتاة الكرز... أخضر نيء في الصباح، وأحمر ناضج وحلو في الليل.

أحست سارة وكأنها دولاب الحظ، تدور وتدور دون أن تعرف أين وكيف ستقف... أو من سيربح ومن سيخسر... إنه دوار عنيف ومستمر.

في تلك اللحظات كانت تعلم أنها تفقد السيطرة على الذات. وأنها تترك نفسها تقع في شرك لا قرار له. الشيء الوحيد الذي عليها فعله لن تجرؤ على القيام به. همست له باحتجاج مؤلم، وهي تتقلب متهربة من إلحاحه.

ـ لا تفعل هذا أرجوك يا وارن... أرجوك.

ـ حباً لله يا سارة... أنت تعرفين أنك تريدين حبي... وسأجعلك تعترفين به!

إنها تريد حبه، لكن ليس بهذه الطريقة، تابعت مقاومتها... ثم قالت تحاول جرحه:

ـ أتستخدم القوة دائماً لنيل النساء؟

تنفس وارن بقوة، ثم رفع نفسه عنها وراحت عيناه تلمعان بطريقة توحي بأن فرصة الهرب قد أزفت وعليها ألا تهن أو تضعف.

همس أخيراً:

ـ اللعنة عليك يا سارة.

اضّجع إلى جانبه جاذباً إياها معه. ثم أمسكت راحتاه وجنتيها ووضعتاهما فوق صدره، لتعلو وتهبط كلما لفظ أنفاسه المتهدّجة، لكان أن استطاعت سماع ضربات قلبه. فأغمضت عينيها تاركة ذراعيه تسحقانها إليه.

أمسكها بهذه الطريقة دون أن يغازلها أو يسعى إلى تنفيذ تهديده بجعلها تقرّ له بحبها له لكنها الآن ما عادت تخشى من عناقه لأنه امتنع عن اغوائها.

ومرّ وقت طويل قبل أن تهدأ نبضات قلبه وتنتظم أنفاسه. كان الرضى بالاستلقاء بين ذراعيه يعادل قوة رغبتها فيه بل أكثر.

حاولت النهوض لكن ذراعه اشتدت أكثر حولها.

ـ ابقي هنا يا فتاة الكرز.

كان صوته العميق غير قابل للمقاومة، ووارن يوشك أن يغفو لذا استرخت فوق صدره وبين دفء ذراعيه على أمل أن ترحل بعد أن يغفو. حينما شعر بها تستكين دون مقاومة انتظمت أنفاسه ثم استسلم للنوم هنيئاً.

ولم يكن من السهل أن تبقى صاحية، ولكن ما ساعدها كان الهواء البارد الذي يرسله البحر عبر النافذة المفتوحة. ولولاه لما استطاعت إلا الاستكانة بين ذراعيه نائمة.

ارتجفت للحظات قليلة وكأنه أحس برجفتها لأنه سرعان ما أفلتها ليمسك بالأغطية التي جذبها ليغطي بها نفسه ويغطيها، عندها غمرها الدفء، واسترخت وهي تحس بأمان بعثه صوته الهامس:

ـ نامي يا فتاة الكرز.

رغم عفوية كلماته إلا أنّه كمن بين طياتها شيء حميم. فأجابت:

ـ أجل.

لكنها لن تنام... ستتظاهر فقط بالموافقة. وعندما يغط في نوم عميق ستتسلل منسحبة إلى غرفتها. انخفضت رموشها إلى الأسفل من التعب فقررت أن تريح عينيها قليلاً لدقائق معدودة فقط.

كانت ذراعه حول خصرها ثقيلة، دافئة... متملكة... ولطيفة.

●●●

٧ ـ خفقات ليست لها

انطلق جرس المنبه عالياً، داخل اذن سارة تقريباً. ناضلت لتفتح عينيها، وهي لا تفهم سبب هذا الرنين العالي إلى هذا الحد.

أحست بوزن ثقيل على خاصرتها، يضغطها فوق الفراش. أرادت أن تبعد هذا الثقل وتمنت من وارن أن يسكت هذا الرنين المزعج ولو لمرة واحدة. ما أن لمست أصابعها هذا الثقل، حتى أحست بشعر خشن، أعلمها أن هذه ذراع وارن.

طار النعاس فوراً من جفونها، وقد تذكرت ما حدث الليلة الماضية، أو على الأصح، في الصباح الباكر، فهذا الجسد القاسي الطويل إلى جانبها هو وارن. وبحذر، لئلا تقلقه، مدت يدها، التي كادت لا تلامس زر المنبه فأسكتته، وللمرة الأولى تسرُّ باستمراره في النوم اثناء رنين المنبه، لأن ذلك سيعطيها فرصة التسلل من السرير قبل أن يستيقظ.

لكنها اثناء محاولتها تلك أمسكها بإحكام رافقه تلعلع صوت أجش بفعل النعاس.

ـ لا تتحركي يا فتاة الكرز.

ظنت سارة أنه غير واعٍ الآن وهذا يعني أنه سيغط في النوم من جديد.

ـ يدك تضايقني.

تمتم بشيء مبهم ثم اضطجع إلى الجانب الآخر في حين بقيت سارة ساكنة مدة دقائق حتى اطمئنت إلى أنه عاد إلى النوم. ثم تسللت من السرير، وسارت على أطراف اصابعها إلى غرفتها.

اغتسلت ثم غيرت ملابسها، وصنعت القهوة فصبت منها فنجاناً ثم صبت كوب عصير حملتهما وعادت إلى غرفة وارن، وهناك راحت تتأمل النائم المستغرق في نومه. تنهدت حينما تذكرت كم تأخر في النوم ليلة أمس، والليلة التي سبقتها عندما نام فوق الأريكة لذا لم تجد القدرة على إيقاظه وحرمانه من الراحة التي يحتاجها.

رجعت على عقبيها لتضع العصير في البراد والقهوة على طاولة المطبخ. كانت الشمس تصفع بأشعتها وجه مياه البحر الصافية فتنعكس أنوارها إلى غرفة الجلوس. حملت فنجان القهوة لتخرج إلى الشرفة، لكنها بعد تردد، نزلت السلم الممتد من المنزل إلى الشاطىء المغري. حيث لا يقطع سكينة الصباح سوى صوت الأمواج المتكسرة على الشاطىء وصيحات النورس الناثر جناحيه في الأفق الرحب.

لكن الشاطىء لم يكن فارغاً لأن امرأة عجوز تعتمر قبعة واقية من الشمس وبنطلون جينز مطوياً حتى ركبتيها كانت تتجول وحيدة، تهتم بالنفائس التي كشف عنها المد.

جلست سارة فوق الرمال، ثم طفقت تراقب المرأة فترة قبل أن يرتد بصرها من جديد إلى النورس الذي ازدادت حركاته البهلوانية... أما البحر فكان في أوج صفائه. فوجهه صفا وسكن كمرآة مشعة.

بدأ شعورها بمضي الزمن يندثر رويداً رويداً، فها السّاعة توشك على الاندحار وكأنها ثوانٍ تطايرت بسرعة. لكن الشمس اشتدت

أنوارها وارتفعت حرارتها، أما البحر والسماء، فقد بقيا كما هما، والمرأة ما زالت تجوب الشاطىء بحثاً عن الصدف والخشب المجروف.

ـ سارة؟

صوت وارن صرخ بها بنفاذ صبر، مهشِّماً طوق السحر الذي حولها، ملعلعاً فوق صيحة النورس.

فاستدارت فوق الرمال لتنظر إلى الخلف، فإذا به يقف على الشرفة، عارياً حتى الوسط. مشعث الشعر الذي حاول ترتيبه بتخليل اصابعه فيه.

لوحت له، وقلبها يخفق... فمن الصعب عليها أن لا تشعر بالجاذبية التي يملكها... صاح متهماً:

ـ لماذا لم توقظيني...؟ كان عليَّ أن أكون في المكتب منذ ساعة.

ـ لقد ظننتك بحاجة إلى النوم!

ـ في المرة القادمة لا تظني... بل أيقظيني!

ردَّه بدا وكأنه زئير. فما كان منها إلا أن مدّت له لسانها، مسرورة أكثر منها غاضبة من تصرفاته الغاضبة.

وقفت، وتقدمت نحو الماء، ورفعت المرأة التي تمشط الرمال بحثاً عن الأصداف رأسها نحوها، فابتسم وجهها الذي لوحته الشمس ولم تحمه القبعة وهي تقول:

ـ أليس الصبح بهياً؟

توقفت سارة عندها:

ـ بكل تأكيد... هل وجدت شيئاً هذا الصباح؟

ـ لا شيء هام.

استقامت المرأة من انحناءتها، فضغطت بيدها على ظهرها. أما سارة فرمقت الكيس الذي تعلقه المرأة على كتفها.

ـ هل تجمعين الأصداف؟

ـ أجل... فهوايتي الرئيسية هي صنع أشياء من هذه الأصداف ومن أشياء أخرى أجدها على الشاطىء.

لاحظت سارة عقداً من الأصداف الصغيرة حول عنق المرأة فسألتها:

ـ كالحلي مثلاً؟

لمست المرأة القلادة بأصابعها.

ـ أجل... الحلي. خاصة القلائد والأقراط. في الوقت الحاضر أصنع صورة بالأصداف. ولهذا أجمع كل هذه الأصداف البنفسجية.

مدت يدها إلى كيسها فرفعت بعض ما فيه من أصداف صغيرة. ثم أردفت:

ـ ثمة أشياء كثيرة يمكن صنعها من هذه الأصداف: الأجراس المتحركة واشياء كثيرة.

ـ يبدو الأمر ساحراً.

وبرز في صوتها رنة حسد. فمواهبها الفنية المبدعة لم تتعد يوماً ترتيب الزهور بين وقت وآخر. ردت المرأة:

ـ الأمر ممتع جداً. وبما أنني الآن متقاعدة، فهذا يبقيني مشغولة.

ـ سارة!

عاد صوت وارن يناديها، فاستدارت لتجيب، كان يقف على الشرفة وقد ارتدى ملابسه، وأكمل:

ـ أنا ذاهب الآن... وسأراك الليلة.

لوحت سارة له، وبعد تحية قصيرة، عاد للدخول إلى المنزل.

ابتسمت لنفسها، دهشة لما يفعله كوب قهوة وحمّام لهذا النكِد صباحاً. فقالت المرأة:

ـ إنَّ زوجك لمهتم بك. كان زوجي جون يخبرني متى يعود دائماً.

قامت سارة بتصحيح ما قالته المرأة على غير وعي منها:

ـ وارن ليس زوجي.

أجفلت المرأة للحظات.

ـ اوه... أجل!

خرجت الصيحة بدهشة وصدمة تعبر عن عدم موافقتها على ما استنتجته. فاحمر وجه سارة، وقد فهمت أن المرأة تلمح إلى أنهما يعيشان معاً دون زواج. لكن لو شاءت أن تصحح لها خطأ تفكيرها لاقتضاها ذلك شرحاً عن ملابسات سكنها وما إلى ذلك، وهي الآن لا تجد داعياً لتبرر الوضع لهذه المرأة التي لن تصدّقها وإن نفت وجود علاقة بينهما وقالت سارة:

ـ لدي بعض التنظيفات في المنزل... يوم سعيد.

راحت تشق طريق العودة وصوت المرأة يتناهى إليها متمتماً:

ـ شبان هذه الأيام... لقد فقدوا كل إحساس بالقيم الأخلاقية!

في الواقع، لم يكن لدى سارة عمل في المنزل، ولكنها تجولت لفعل اشياء غريبة صغيرة، كري النباتات وغسل أغراضها الصغيرة. وقد بقيت في عملها هذا حتى الظهر حيث أعدت بعض السندويشات والقهوة غداء لها، ثم تمددت على كرسي نوم وشرعت بالقراءة.

كانت الشمس الدافئة تبعث الاسترخاء إلى جسدها المتمدِّد الذي راح يغرق في النوم بعد ليلتين مؤرقتين.

عندما فتحت عينيها ثانية، وقعتا على حقيبة مألوفة لها. راحت

تبحث فوراً عن صاحبها فوجدته جالساً على الكرسي الآخر إلى جانبها، وساقاه الطويلتان ممتدتان أمامه، وكوب عصير برتقال، مع مكعبين من الثلج، في يده. كان ينظر إليها وقد التوى فمه بابتسامة:

ـ لقد قررت أخيراً الاستيقاظ يا ناعسة. ظننتك ستنامين حتى صباح الغد.

منعت تثاؤبة بظاهر يدها، ثم دفعت نفسها لتستند إلى مرفقها:

ـ كم الساعة الآن؟

ـ الرابعة والنصف، تقريباً.

ـ لم أكن أعلم أنني تعبة لهذه الدرجة. منذ متى وأنت هنا؟

ـ منذ الثانية تقريباً.

أي أنه وصل بعد برهة قصيرة من نومها... فرفرفت عينيها متعجبة:

ـ وهل جلست هنا هذه المدة كلها؟

ـ أراقبك وأنت نائمة.

كان الخدر قد بدأ يزول، وأخذت تعي تماماً ما حولها وسرعان ما لاحظت إشارات التعب عليه، فقالت وهي تجلس مستوية:

ـ كان عليك أن تنام بدل مراقبتي.

ـ ربما... لكنني أردت أن أكون صاحياً عندما تستيقظي.

بدا لها سبباً غريباً:

ـ ولماذا؟

ـ لأنني أريد الاعتذار على ما بدا مني ليلة أمس.

ـ اوه...

تصريحه جعلها فجأة قلقة، خاصة وإن نظرته الزرقاء كانت تراقب كل حركاتها. وقفت تسير إلى حاجز الشرفة، متمنية لو يتظاهر بأن ليلة

الأمس لم تكن، بدل الإشارة إليها عند أول لقاء لهما. في الصباح كانت قد هربت إلى الشاطىء تجنباً لهذه المواجهة.

وقع الأقدام دلتها على دنوّه منها فتوترت، وخفق قلبها بجنون وكأنه جناحا طائر الطنان. وقف وارن خلفها تماماً، فأحست بلمسات نظرته.

ـ ألن تقبلي اعتذاري؟

هزت كتفيها بنزق:

ـ على ماذا؟ لم يحدث شيء.

فقال ساخراً بلطف:

ـ ليس بسبب عدم وجود النية.

أفقدها ارتباكها تماسكها حتى غدت تبدو كمراهقة خجول. ماذا حدث لنضوجها وثقتها المفرطة بالنفس عند الحاجة إلى معالجة مثل هذا الموقف؟ ما هي هذه القوة التي يمتلكها وارن كي تتقلص أمامه لتصبح كتلة أعصاب متوترة؟

وضع يديه بلطف على كتفيها ليديرها نحوه. فأبقت نظرها على ياقة قميصه، حيث الزران العلويان المفتوحان، أظهرا لها فسحة من صدره وقد أثار هذا المشهد أعصابها وكأنها تنظر إلى عينيه الزرقاوين.

مد اصبعه إلى ذقنها ليرفع وجهها إليه:

ـ كنت أعلم أنك ستغريني منذ أول ليلة اتفقنا فيها، لكنني ظننت أن بإمكاني المقاومة... كنت تعباً ومتوتراً ليلة أمس. وكنا نتجادل بشأن أرميتاج...

فقاطعته سارة بحزم:

ـ وارن، أرجوك. لا أريد أن أخوض في تفاصيل الوقائع أو

الأحاسيس التي قادت إلى ما حدث ليلة أمس. عرضها في ضوء النهار لا يبدل شيئاً. فلا تفعل هذا بي.

فضحك دون مرح:

ـ لا أفعل هذا بك؟ وماذا عما فعلته أنت بي؟ أتعلمين كيف شعرت عندما قدت سيارتك بتلك السرعة ليلة أمس؟ أو عندما اكتشفت أنك لست مع أرميتاج؟ أتعلمين ما معنى انتظار عودتك ليلاً؟ أتعلمين ما هو الشعور الذي أحس به كل ليلة في الفراش وأنا أتخيلك في الغرفة المجاورة ببيجامتك القصيرة التي لا تخفي منك شيئاً؟

إنها على بُعد خطوة من الاستسلام له... فقالت متحدية:

ـ إذن اذهب... اترك المنزل.

ـ أتركك وأبقى قلقاً عليك، وأنت وحيدة تحت رحمة المتطفلين واللصوص؟ سأكون كالهارب من المقلاة إلى النار، أو كمن يعالج القرحة بالحمام البارد.

ـ بناءً على هذا فأنت تريد مني الذهاب.

ـ هذا سيحل مشكلة ما.

ـ صحيح؟

فتنهد عميقاً، وتركها ليستدير:

ـ لست أدري.

ـ هذا جيد... لأنني لن أذهب.

مع أن كل ذرة من منطق كانت تصيح بها أن عليها الذهاب... قالت له وهي تتحرك باتجاه باب الشرفة:

ـ اعذرني... سأرى ماذا لدينا للعشاء الليلة.

استدار وارن وفي صوته وحشية:

ـ لا! ستتعشى خارجاً.

ترددت جزءاً من الثانية:

ـ بإمكانك العشاء في الخارج إذا أحببت، أما أنا فسأحضر شيئاً لنفسي.

رفضت دعوته لأنها ستبدو موعداً غرامياً خطراً عليها خطر بقائها معه وحيدة. فتمتم:

ـ تباً لك يا سارة. أما شرحت منذ قليل أنني أخشى تركك وحيدة في المنزل خلال الليل. ألا يكفيني خطر بقائك وحيدة خلال النهار؟

ـ لن تتركني!

أغضبها تصريحه المتعجرف.

لكنه كرر بقوة:

ـ هذا صحيح... لن أتركك. جادليني ما شاء لك ذلك في هذا الموضوع، لكن ليس أمامك إلا خياران إمّا الخروج معاً أو البقاء هنا معاً. فإن كنت تملكين ذرة من عقل فستوافقين على الخروج للعشاء، لنختلط بالناس.

تلاقت عيونهما في صدام وصراع. ثم أكمل بتحد:

ـ ما هو خيارك؟

ـ أعطني بضع دقائق لأغير ملابسي.

ـ عظيم... سنذهب إلى مكان نشرب فيه العصير قبل العشاء.

لم يخفَّ توترها إلا بعد مغادرتهما المقهى الذي احتسيا فيه عصيراً بارداً متجهين إلى مطعم، أجلستهما فيه المضيفة إلى طاولة تشرف على بحر تبدو أمواجه البيضاء متكسرة تحت أنوار مصابيح المطعم الكاشفة.

رفع رأسه عن لائحة الطعام:

ـ ماذا بدا لك من طعام جيد؟

www.liilas-romancia.com

- أحاول التقرير بين السرطان مع التوابل والسرطان المسلوق.
- تناولي الطبقين معاً.
- أتمزح؟ ستمتلىء معدتي إلى درجة لا أقوى معها على الحراك وعندها ستضطر إلى حملي لتخرجني من هنا.

فذكرها بسرعة وهدوء:

- لن تكون المرة الأولى... لقد حملتك في مكان ما.

الطريقة التي نظر فيها إليها بعثت إليها الحرارة فكان أن أعادت نظرها إلى لائحة الطعام، مدركة كل الإدراك ضحكاته الخفية، ثم لم تلبث أن أغلقت لائحة الطعام:

- سأتناول السرطان المسلوق.

تقدم منهما الساقي بعد إشارة من وارن:

- سرطان مسلوق لنا. ولائحة المشروب أرجوك.

عندما ذهب الساقي، طغى عليهما صمت شديد دفع سارة إلى العبث بالشوكة الموضوعة أمامها، عاجزة عن الحديث بأي موضوع قد يطرّي أجواء بداية السهرة. ومد وارن يده ليغطي يدها، وقال معتذراً:

- كنت أمازحك عندما ذكرت ما حدث ليلة أمس.
- أعلم، لكن الأمر لا مزاح فيه.

وجاءهما صوت رجولي ساخر من خلف سارة:

- عجباً... عجباً... لقد قررتما أخيراً الخروج من عشكما!

حاولت سارة سحب يدها من يد وارن، إلا أن اصابعه رفضت أن تتركها. وارتفع بصره إلى صاحب الصوت:

- مرحباً تيد.

تقدم الرجل الأشقر أمام سارة، وكان ذكر وارن اسمه قد أنعش ذاكرتها فعلمت إن الصوت صوت شقيق كاثرين.

- مرحباً وارن.

أحنى رأسه له، ثم ابتسم بخبث لسارة:

- لقد التقينا ثانية سارة لانغلي.
- مرحباً سيد ارثربوري.

ردت عليه تحيته بجفاء متعمد، فهي لم تحب تصرفاته المتعجرفة قطّ. فقال مصححاً ثم التفت إلى وارن:

- بل تيد... شقيقتي كانت تطحن أسنانها عليك طوال الأسبوع، حقاً يا وارن. وأظن أنه كان عليك التخلي عنها بلطف أكثر.
- كنت لطيفاً معها سنتين متتاليتين... وقد آن لها أن تفهم.
- أظن أنها فهمت الآن أنك السيد في أي زواج. لقد كانت كاثي متحررة دائماً، وهي الآن على استعداد لمسامحتك على... لهوك مع صديقاتك.

أشار برأسه إلى سارة، التي كانت تجلس غارقة بين ناري الغضب والإحراج...

التوى فم وارن باشمئزاز:

- أهذا ما قالته كاثرين؟

اعترف تيد بسهولة:

- طلبت مني أن أوصل إليك رسالتها هذه عند لقائي بك.

رد وارن دون اكتراث ظاهر:

- وها قد أوصلتها.

فهز تيد كتفيه:

- وأنت الآن تريدني أن أترككما وحدكما حالاً؟ حسن جداً... تمتعا بأمسيتكما.

عندما ابتعد، قالت سارة غاضبة:

ـ لماذا لم تصحح انطباعه؟ إنه ليس كاثرين.

فرفع حاجبيه ساخراً:

ـ كيف أصحح انطباعه؟ أتنكرين نومنا معاً؟

ـ أنت تعلم تماماً أن الأمر كان بريئاً تماماً.

ترك يدها ليسند ظهره إلى الكرسي وهو يتفرس فيها مفكراً:

ـ أنت تتحرقين لنفي أي علاقة بيننا كلما كان تيد معنا، أيعجبك؟

ـ بالطبع لا!

ـ عائلة ارثربوري فاحشة الثراء، وممّا لا شك فيه أن تيد صيد ثمين لأية امرأة.

فقالت بسخرية تتجاوز سخريته درجات:

ـ قد أقول القول نفسه عن كاثرين؟

ـ ممكن، لكننا لا نتكلم عنها الآن.

ـ وأنا لا أتكلم عن تيد، ولكن ربما عليك أن تأخذ بنصيحته وتقبل غفرانها لك. فتعودان إلى سابق عهدكما.

بدا الضيق على وجهه:

ـ أنت تتمتعين بإثارة الجدال، يا سارة؟

ـ أنا لا أثير شيئاً... أنت من يخلق الشجار دائماً.

ـ فلنته هذا الحديث بتجاهل الموضوع.

ـ بكل سرور.

وصول العشاء جعلهما ينهيان الشجار فوراً للعودة إلى الصمت. مع الطعام اللذيذ والشراب المنعش تحول الصمت بعد قليل إلى رفقة محببة. فسألته سارة:

ـ ما أخبار القضية؟

ـ جيدة جداً... ألم يخبرك أرميتاج أنه عوض عن الوقت الضائع؟

ـ لا... إنه لم يذكرها إطلاقاً.

ـ كان عليه أن يخبرك مسروراً بما أنجز.

ـ ديرك لا يتباهى بعمله الذي يعتبره واجباً وهو إلى ذلك لا يتخذ المشاكل حجة للتلكؤ بل يسعى إلى حلّها. ولهذا السبب قلت لك ان ليس من الإنصاف لومه على التأخير الذي حدث لقضيتك.

ـ ولكنه ذكر أنكما تبحثان العمل معاً، لذا افترضت أن يكون قد أشار إلى قضيتي. عما كنتما تتحدثان، أم أنا أخوض في أمور محرّمة بسؤالي هذا؟

ترددت لحظة، لأنها لا تجد خيراً في الإجابة:

ـ كنا نتحدث عن الفتاة التي حلت مكاني خلال إجازتي، عملياً جيني سكرتيرة ممتازة، لكن شخصيتها تثير الأعصاب.

هز رأسه، وكأنه فهم وقال:

ـ لقد تحدثت إليها عدة مرات.

ـ إذن أنت تفهم ما مرَّ به ديرك في الأسبوع الماضي.

ارتسمت ابتسامة على شفتيها، فأجاب بصدق:

ـ وأتعاطف معه، لكن هذا لا يفسر لي سبب حمله لك فوق السياج.

لم تحاول اخفاء ابتسامتها التي اتسعت:

ـ اوه... كنت امازحه فقلت له إنني أفكر بالاستقالة وإعطائه انذار بترك العمل واقترحت أن تحل جيني مكاني. عندها هددني بالقتل إن فعلت.

ـ وهل تفكرين فعلاً بترك العمل؟

هزت رأسها:

ـ لا... فأنا أحب عملي.

ـ عندما تتزوجين هل ستستمرين في العمل؟

بدا اهتمامه في هذه اللحظة منصباً على الطعام. صعُب عليها تقديم رد اعتباطي، فلو سألها رجل آخر هذا السؤال لضحكت منه. لكنها تشعر أنها تقريباً قد وقعت في حبه، والزواج موضوع يبعث الرجفة في أوصالها.

ـ على الأغلب سأثابر على العمل بعد الزواج لأحافظ على مستوى معيشتي.

ـ هل يزعجك هذا؟

ـ لا... أبداً، كما قلت لك أنا أحب عملي، ولا أظن أن الأوقات الكسولة تناسبني فأنا أحب العمل البناء المتحدي.

كان رداً صادقاً لا دجل فيه. رفع كوبه ونظر إليها من فوق حافته:

ـ وإن لم يشأ زوجك أن تعملي؟ ماذا إذا أراد بقاءك في البيت فقط؟

ـ عندها سيطول الجدال بيننا. هل أنت من الرجال الرجعيين الذين لا يوافقون على عمل الزوجات؟

فابتسم وارن:

ـ أنا لا أمانع أن تعمل زوجات الرجال الآخرين. لكنني لست واثقاً من ردة فعلي عندما يتعلق الأمر بزوجتي. لكني لن أرضى بأن تعمل فيما لو رزقنا أطفالاً، على الأقل عندما يكونون صغاراً.

فوافقت سارة دون نقاش:

ـ أحب أن أكون مع أطفالي وهم صغار.

ـ ها قد وجدنا شيئاً آخر مشتركاً اتفقنا عليه عدا مشاركتنا المنزل نفسه.

بدت الدهشة الماكرة عليه، ولمع الخبث في نظرته الزرقاء:

ـ هذا أمر عظيم!

ضحكت سارة وقد نسيت الآن كل شيء يتعلق بتيد وكاثرين ارثربوري. ووجدا مواضيع وفيرة تجاذبا أطراف الحديث فيها دون أن يختلفا رأياً.

بدا لها الوقت مبكراً جداً عندما أدخل وارن السيارة إلى المرآب، في الواقع تباطئا كثيراً في تناول الحلوى، وفي شرب القهوة بعدها، إلى أن أصبحت الساعة العاشرة. تنهدت سارة ندماً على انتهاء السهرة. خرجت من السيارة، وأخرجت مفتاح الباب من حقيبتها. ثم تقدما في آن واحد إلى الأمام ليفتحا الباب، فاصطدما ببعضهما بعضاً فقال وارن ممازحاً وهو ينحني:

ـ اسمحي لي.

ـ بكل سرور.

في المدخل السفلي، توقف قليلاً ليوصد الباب وراءهما بالمزلاج، بينما بدأت هي ترتقي السلالم ببطء منزعجة من انتهاء هذه السهرة بهذه السرعة. فقالت:

ـ هل لي أن...

فقاطعها وهو على بعد خطوة منها:

ـ لنتفق... أنت لا تعرضين علي صنع القهوة أو العصير، وأنا لا أقترح عليك أن أريك رسوماتي.

فردت دون حماس:

ـ حسن جداً.

عرفت تماماً لماذا قال هذا، فقد عادا إلى المنزل ثانية حيث الخلوة والعزلة فيه توحي بجو حميم يحاول كلاهما تجنبه. أمسك ذراعها بلطف، ليقودها عبر غرفة الجلوس إلى الردهة التي تصل إلى

غرف النوم، وأرادت أن تحتج بأنها لا تميل إلى النوم، لكنها علمت أن هذا لن يكون حكيماً، فبقيت صامتة.

عند الباب المقفل، توقفا، فاستدارت سارة مترددة، وقد سادهما صمت مطبق.

قال وارن ممازحاً:

ـ أتعلمين أنها المرة الأولى التي أرافق فيها فتاة إلى غرفة نومها مباشرة، لأقول تصبحين على خير؟

ـ وهي الأولى بالنسبة لي.

قلدت ما أمكن لهجته المازحة، لكن صوتها خرج خشناً متوتراً بسبب قربه منها. وغطت راحة يده خدها بلطف، ثم قال:

ـ الأفضل أن تدخلي فراشك رأساً. فبعد اليومين الماضيين، أنت بحاجة لنوم طويل.

شيء ما في طريقة كلامه جعلها تسأل:

ـ وماذا عنك؟ ألن تذهب إلى الفراش رأساً؟

هز رأسه.

ـ لا... لقد فكرت في القيام وحدي بنزهة على الشاطىء قبل الخلود إلى النوم.

أرادت أن تقترح مرافقته:

ـ ولكنني...

لكن اصبعه ضغط على شفتيها ليسكتها، ورفض بحزم:

ـ لا... فأنا أعي ما أفعل يا سارة.

تضاعفت طرقات قلبها شيئاً فشيئاً واضاءت عيناها البنيتان وهي تهز رأسها موافقة، فتطاير الغضب من عينيه، مدمدماً:

ـ لا تكوني خنوعة هكذا... فهذا لا يناسبك.

بدأت تدافع عن تصرفها:

ـ أنا...

فقاطعها:

ـ اصمتي فقط.

سمعته يبتلع ريقه، ثم أحست بيده تهبط من وجنتها إلى ظهرها لتجذبها إليه برفق في عناق حميم ناعم. دفء جسده، أضاف إلى نارها المشتعلة لهيباً فوق لهيب. جاذبيته الطاغية الملموسة جعلتها لا تقوى على رفضه أو مقاومته، خاصة وهي تشعر به متوتراً بين ذراعيها كرفاص مشدود في محاولة منه لكبح جماح مشاعره، في وقت فقدت هي كل سيطرة، فهي قد أدركت منذ وقت طويل، أنها بين ذراعي وارن تتعطل كل كوابحها، وهذا ما يجعل للمسته خطراً مضاعفاً.

فجأة، تراجع، وقد تحركت عضلة صغيرة على فكه القوي، أخذ يحدق فيها باكتئاب... ثم تنفس بعمق، تركها مبتعداً وهو يقول آمراً:

ـ تصبحين على خير يا سارة.

بقيت هنيهة غير قادرة على الكلام، ثم أجابت بصوت ضعيف:

ـ تصبح على خير.

لكنه كان قد وصل إلى منتصف غرفة الجلوس، دون أن ينظر إلى الخلف. لم تدخل غرفتها، إلا بعد أن سمعت باب الشرفة المنزلق، ينفتح، ثم ينغلق.

كانت مصدومة من المشاعر والأحاسيس التي أيقظها فيها، فكيف للنوم سبيل إليها. تقدمت من النافذة، تنظر إلى نور القمر الشاحب وقد رمى بظلال قضية خفيفة فوق الرمال.

ثم برز وارن أمام ناظريها، تحمله خطوات واسعة نحو الأمواج.

يداه في جيبي بنطلونه، ونظره ثابت إلى الأرض. راقبته إلى أن اختفى عن ناظريها، يسير فوق الشاطىء نحو الليل.

غيرت ملابسها، وارتدت البيجاما، ثم دخلت السرير، لم تحاول أن تغمض عينيها، وهي تصغي لتكتكات الساعة الصغيرة قرب السرير التي تشير إلى انقضاء الثواني. كانت يدا الساعة تتصافحان معلنتان منتصف الليل عندما سمعته يدخل المنزل. خطواته تباطأت كثيراً وهو يدخل الردهة. وقف خارج بابها، وعندما شاهدت الاكرة تستدير، أغمضت عينيها تدعي النوم.

فتح الباب، ولكنه لم يحاول دخول الغرفة، بل وقف يتأملها عدة لحظات صامتة قبل أن يغلق الباب ثانية، في طريقه إلى غرفته.

عندها أصبحت دقات قلبها ألماً مبرحاً.

● ● ●

٨ ـ يأخذ الشمس معه

استيقظت سارة كالعادة باكراً في الصباح التالي، واستلقت في الفراش عدة دقائق تصغي إلى صوت تحركات وارن في المنزل.

أخيراً نزلت من السرير لعلمها أنها لن تستطيع العودة إلى النوم، وأن عليها أن تنهض من السرير عاجلاً أم آجلاً. فارتدت روبها وخرجت إلى الردهة. في تلك اللحظة خرج وارن من غرفته، يصفر بصوت منخفض لحناً لا شكل له. كان يرتدي ثوب سباحة قاتماً. ابتسم عندما شاهدها وقال بمرح:

ـ صباح الخير.

ردت عليه بصوت أجشّ بفعل النوم:

ـ لا شك في أنك استيقظت منذ مدة.

ـ صحيح... كيف عرفت؟ هل أيقظتك؟

انتظرها ليسير معها. فردت عليه:

ـ لا... لم توقظني. لقد عرفت أنك استيقظت منذ مدة لأنك عادة تبدو نكداً عندما تستيقظ.

مد يده ليعبث بشعرها القصير مداعباً:

ـ إنك لا تشابهين إشراقة الشمس عندما تستيقظين كذلك.

ـ لا تفعل هذا...

حاولت إعادة شعرها إلى ما كان عليه براحة يدها، فغمزها قائلاً:

www.elromancia.com

- أرأيت ما أعني؟
- أنا لم أدَع يوماً أنني الآنسة إشراقة الشمس. هل صنعت القهوة؟
- ليس بعد. كنت في طريقي لأسبح قليلاً قبل الفطور، على أمل أن أعود فأراك قد استيقظت فأعددتها.

كان في رده صدق ما، يمتزج بسخرية تطل من عينيه. فردت دون أن تتمكن من الغضب منه في الصباح الباكر:

- كان بإمكانك تحضير الفطور لي بانتظار استيقاظي.
- صحيح... هل تأتين معي للسباحة؟ سأنتظرك.
- لا. شكراً.

فهز كتفيه:

- حسناً... سأراك لاحقاً.

بدا أنه أخذ الكثير من نور الشمس معه عندما خرج. حضرت سارة إبريق القهوة ووضعته في الكهرباء. وأخرجت كوب العصير إلى الشرفة، وأخذ نظرها يبحث بين الأمواج إلى أن وجدت وارن. إنه سبّاح قوي كما قدّرت ذلك تماماً. راقبته مدة طويلة قبل أن تنهر نفسها لترتدي ثيابها.

استحمت أولاً... ثم ارتدت سروالاً قصيراً مقلماً بالأبيض والأحمر وقميصاً ذا ياقة تشبه المركب. كانت القهوة جاهزة عندما عادت إلى المطبخ. فصبت فنجاناً وحملته ثانية إلى الشرفة، وعادت أنظارها ثانية تفتش عنه فوق الشاطىء.

طيفان لفتا نظرها، أحدهما لوارن يرفع يده بالتحية والثاني المرأة العجوز التي تحدثت إليها منذ يومين.

شحب وجه سارة عندما رأت وارن يتحدث إلى تلك المرأة وكان جسده البرونزي يلمع كمعدن بفعل الماء المتجمع عليه. لم يكن لديها

أية فكرة عما يتحدثان لكن وارن بدا مصغيا باهتمام ظاهر قطعه مرة بالقاء نظرة إلى حيث تقف على الشرفة. ولم تدر لِمَ اقشعرَّ جسمها. أهو بسبب الانطباع العالق في ذهن تلك المرأة عن طبيعة عيشهما معاً دون زواج في منزل واحد. سرعان ما شاهدت وارن يحني رأسه مودعاً وراح يجتاز المسافة باتجاه المنزل بخطوات واسعة. عندئذ أحست بشيء ما يحثها على الدخول، لكنها أجبرت نفسها على البقاء، والتصرف بهدوء.

- هل تمتعت بالسباحة؟
- كانت عظيمة.

تنفس ليتنشق رائحة القهوة:

- آه... القهوة جاهزة.

قالت بسرعة وقد وجدت عذراً لدخول المنزل:

- سأحضر لك فنجاناً.
- أستطيع الانتظار.

تقدم إلى السياج قربها، وضع كلتا يديه أمامه ليستند إليهما، وأخذ يحدق بصمت إلى مياه البحر.

ثم ودون توقع، نظر إليها، وكأنه تمثال برونزي قد دبت فيه الحياة، فبعث إليها مزيجاً من المشاعر جعلت أنفاسها غير منتظمة.

- تحدثت تواً حديثاً ممتعاً مع تلك المرأة على الشاطىء... اسمها السيدة كولبير، تسكن في منزل لا يبعد كثيراً عن هنا، أتعرفينها؟

شيء ما في لهجته أعلمها أنه يعرف الرد مسبقاً. ربما تعرف إلى المرأة التي شاهدها معها منذ يومين. فأجابت:

- لقد تحدثت معها لبضعة دقائق. لكنني لم أعرف اسمها. إنها

تجمع الصدف وتصنع منها الحلي والقلائد وما شابه.

ـ هذا جزء مما قالته لي.

كان الضحك يملأ رده، لكن نظرته إليها لم تتغير:

ـ يتملكني الفضول لأعرف ماذا أخبرتها.

ابتلعت سارة رشفة قهوة كانت تتناولها وقالت:

ـ أنا؟

ـ أتعلمين أن السيدة لديها انطباع بأننا نعيش معاً بطريقة لا أخلاقية؟

ـ خشيت أن تفكر بهذه الطريقة.

ـ ماذا قلت لها؟

أخذت ابتسامة تتلاعب على شفتيه:

ـ افترضت أننا متزوجان، فقلت لها دون تفكير أنك لست زوجي. وهكذا استنتجت ما تشاء من قولي هذا.

ـ وأنت لم تنفي اعتقادها؟

ـ كان علي أن أشرح القصة الطويلة الغريبة ففضلت العكس... ماذا قالت لك؟

ازدادت الخطوط حول فمه عمقاً، واتسع سروره أمام قلق سارة:

ـ استمعت إلى محاضرة أخلاقية.

ـ اوه...

كان هذا كل ما استطاعت قوله. حدقت في فنجان قهوتها الفارغ... ومد وارن يده ليأخذ منها الفنجان ووضعه فوق طاولة قريبة. وقبل أن تستطيع الاحتجاج كان يحيطها بذراعيه كلتيهما ووضعت يديها على صدره... فابتسم لها:

ـ سعت إلى إقناعي، إن كنتُ محترماً، بجعلك امرأة محترمة

لكني لم أفهم إلى أي حد أنت لست محترمة.

ـ وارن... أرجوك!

كان حلقها قد جف، لذا لم تخرج الكلمات منها إلا دفعاً. في هذه الأثناء شمت رائحة مياه البحر المنبعثة منه بعد أن جففتها حرارة الشمس لتتركها مالحة ولتهاجم بسرعة مشاعرها التي انقلبت رأساً على عقب ما إن لمسها. قال بلهجة مرحة مغتبطة:

ـ هل أجعل منك امرأة محترمة يا سارة؟

ابتلعت ريقها بسرعة لتريح الضيق في حنجرتها، ودفعته عنها:

ـ لا تكن سخيفاً يا وارن!

إنها لا تستطيع المزاح بأمر يتعلق بالزواج. لم يحاول استعادة قبضته لها، بل أخذ يراقبها توسع المسافة بينهما بخطوات سريعة. ومع ذلك، فقد كان خلف نظراته المازحة، تعبيراً بدا، وبشكل مؤثر، حذراً.

عاد ليقول من جديد، في محاولة للدلالة على أنه يمازحها:

ـ ربما علي أن أجعل منك امرأة غير محترمة.

أحست بأنها غير قادرة على تحمل كلماته المؤذية، فقالت:

ـ ربما أنت بحاجة لبعض القهوة لتصحو أكثر. فأنت إما ثملت من ماء البحر أو ضربتك أشعة الشمس.

ـ لا أريد القهوة الآن.

أشارت طريقة رده إلى أنه يريد شيئاً آخر مسبباً بذلك المزيد من توتر الجو. وشحب وجه سارة، ولم تعد واثقة كم بقي لهذا الجو المكهرب من قوة احتمال قبل أن ينفجر. وكادت تقفز من جلدها عندما تحرك وارن دون توقع منها. ولكنه تجاوزها قائلاً:

ـ سأغتسل، وأغيّر ثيابي أولاً، ثم القهوة.
ـ وسأبدأ بتحضير الفطور.

كان اللحم ينضج في المقلاة عندما دخل وارن المطبخ، يرتدي سروالاً فاتح اللون وقميصاً قصير الأكمام أبرز قماشه الرقيق عرض منكبيه أكثر، أمّا رائحة الصابون فاختلطت مع رائحة عطر ما بعد الحلاقة.

لم تستطع سارة منع نفسها من الإحساس بهذا المزيج وهو يصب القهوة لنفسه، ثم يتحرك إلى الطاولة الثابتة في الحائط. بدأت بتقليب شرحات اللحم لئلا تحترق، وهي تعلم تماماً أنه يراقبها. فسألته:
ـ هل يجب أن تحدق فيّ هكذا؟ تجعلني أحس وكأن رأسين قد نبتا لي.
ـ آسف... هل لديك خطط لهذا اليوم؟
ـ خطط؟
ـ أجل... هل تتوقعين قدوم أرميتاج أو أي شخص آخر؟
ـ لا... لم يذكر أنه قادم.

وضعت الزبدة في مقلاة البيض ووضعته فوق النار، حينذاك علا رذاذ اللحم فوصل إلى يدها. فصاحت بألم وهي تقفز بعيداً عن النار. أسرع وارن إليها ثم أمسك بيدها وجرّها إلى المغسلة حيث فتح حنفية الماء البارد ليضع يدها تحته وقال:
ـ دعيها هنا.
ـ لكن اللحم سيحترق.
ـ سأهتم به. دعي الماء البارد يسقط فوق الحرق دقائق.
عاد إلى المقلاة لينقذ اللحم من الاحتراق بينما فعلت ما قاله لها،

فبدأت لسعة الألم تخف تدريجياً... فسألها:
ـ كيف تشعرين؟
ـ لقد أصبحت على ما يرام.

لم يبقَ من أثر للحرق سوى بقعة حمراء على يدها. وكسر البيض ليضعه فوق الزبدة الذائبة في المقلاة الأخرى وقال:
ـ لم تسأليني لماذا سألتك عن خططك اليوم؟
ـ لماذا؟
ـ لقد فكرت، إذا لم يكن لديك خطط أخرى، في الذهاب إلى أحد المنتجعات لقضاء اليوم.
أضاف بيضة أخرى إلى المقلاة:
ـ كيف تحبين البيض؟
أجابت سارة عن سؤاله الأخير، فهو الأسهل:
ـ أكثر من الرخو بقليل.
ـ وماذا عن الذهاب إلى المنتجع؟
ـ تبدو فكرة جيدة.
ـ جيد... هل وضعت الخبز في المحمصة؟
ـ لا.
مدت يدها لتحضرّ الخبز.

بعد ساعة، انتهى فطورهما فعمدت إلى غسل الصحون ثم انطلقا إلى منتجعات ايست سوسكس الشهيرة على شاطىء القناة الانكليزية. من الطريق الساحلية، أخذت سارة تراقب سفينة حربية انكليزية تقف على مسافة قريبة عند خليج هاستنغز. سألها:
ـ ثمة مكان معيّن تريدين رؤيته عندما نصل؟
ـ لا...

هزت رأسها غير قادرة على التفكير بمكان محدد.

ـ إذن فلنذهب إلى دوفر.

ـ لكن ألا تبعد أكثر من مئة ميل؟

ـ تقريباً.

نظرت إلى ساعتها.

ـ أتدرك كم ستتأخر في طريق العودة؟ أنسيت أنه لديك عمل غداً وهذا يعني أنه عليك النوم باكراً.

وارتقصت زاويتا فمه، لكن نظره لم يتزحزح عن الطريق الرئيسية أمامه:

ـ فلننس أمر النوم والفراش يا سارة ولنتمتع بيومنا.

مدت رأسها إلى الأمام لتنظر إلى الشمس من الزجاج الأمامي، وقد أغاظها تعليقه الساخر. فمد يده ليمسك مؤخرة عنقها... حيث تحسس العضلات المتصلبة فشرع يدلكها بلطف قائلاً:

ـ استرخي يا سارة، وتوقفي عن الإمساك بباب السيارة... لن أعضك.

ـ ألن تعضني؟

لكنها أحست بلسعة سهم كيوبيد...

رد مبتسماً:

ـ أعدك... لن أعضك... بل لن أقضمك أبداً.

أشاح نظره عن الطريق لينظر إليها، نظرة لها تأثير يده نفسها، بعد قليل سحب يده وأعادها إلى المقود، ثم قال:

ـ لنكن هذا اليوم شخصين يقومان بنزهة بسيطة نهار الأحد.

امتد الطريق الرئيسي الحديث على طول الساحل دون أن يغيب البحر عنهما إلا لبضع دقائق. كانت الطريق تلتف فيها حول بعض

التلال الصخرية... وعلقت سارة على المناظر التي تحيط بها:

ـ يا لجمال الطريق.

ـ هل أنت مسرورة بقدومك.

ـ بالطبع.

ـ وكذلك أنا.

نظر إلى ساعته:

ـ لست أدري شيئاً عن معدتك، لكن معدتي تقول انه مر وقت طويل منذ الفطور. فلنجد مكاناً نتناول فيه طعامنا قبل أن نعود.

كانت الشمس أذنت بالمغيب عندما شرعا في رحلة العودة إلى فايستغز وكانت أشعتها الذهبية تسترخي بهدوء ووقار بعد الظهر، وفي أثناء ما خلال رحلة العودة، أغمضت سارة عينيها ثم نسيت أن تفتحهما. والشيء التالي الذي أحست به كانت يداً ناعمة لطيفة تهزها لتستفيق يصحبها صوت وارن عبر ضباب النعاس:

ـ لقد وصلنا البيت يا فتاة الكرز.

رفعت جفنيها بكسل، إلى جسده المنحني فوقها وهو يفتح لها الباب. فابتسمت له، غير واعية لما ظهر على وجهها من أحلام وديعة. وتمتمت:

ـ بهذه السرعة؟

ـ أجل... بهذه السرعة.

لم تكن قد صحت تماماً، فاستغلت الدعم الذي قدمه لها، واتكأت عليه بقوة. سارا ببطء نحو مدخل المرآب الموصل إلى المنزل، وذراعه تلف خصرها وقد بقيت حيث هي إلى أن وصلا إلى أعلى السلم، ومن ثَمَّ إلى غرفة الجلوس. فتمتمت سارة، وهي تحاول نفض غبار النعاس عن عينيها:

ـ الأفضل أن أحضر بعض القهوة.
ـ لا تزعجي نفسك لأجلي.

تركها ليلتقط حقيبته ويتوجه إلى الأريكة. راقبته وهو يجلس ويضع الحقيبة على ركبتيه. فقطبت:
ـ ماذا تفعل؟
رد دون أن ينظر إليها:
ـ لدي عمل يجب أن أنهيه.
ـ بعد القيادة كل هذه المسافة؟
ـ يجب أن أنهيه.

لم تمض لحظات حتى تولاها إحساس داهم بالوحدة، فوقفت وسط الغرفة والشك يملأها، قبل أن تخرج إلى الشرفة. لتتكىء على السياج، ومشاعر الخذلان تكتسحها. كانت سماء الليل تضيئها النجوم الممتدة إلى ما لا نهاية. كالفراغ الممتد في داخلها إلى ما لا يعرف قراره.

ارتجفت، فعادت للدخول إلى المنزل وهي تقول:
ـ الطقس بارد في الخارج.

لكن الجو في الداخل بدا أبرد بكثير بعد أن هز وارن رأسه دون اكتراث، فقالت بموجة من التوتر:
ـ هل يجب أن تعمل؟

فرفع عينيه إليها وقال مذكّراً:
ـ لست في إجازة يا سارة.
ـ كم أتمنى لو لم أكن أنا في إجازة.

وعاد إلى أوراقه يتمتم:
ـ وكذلك أنا... عندها لما كنت هنا. ولكنت في شقتك، حيث

تتمين.

أحست فجأة بالندم لمقابلته، وقالت متحدية، هي تحس بألم يضغط على صدرها وكأنه الرباط:
ـ أهذا ما تتمناه إذن؟

مرة أخرى ارتفع لمعان عينيه البارد وهو ينظر إليها نظرة مباشرة:
ـ حسبتُني أوضحت هذا الأمر منذ البداية.

فشحب وجه سارة، وقالت:
ـ لكنك أعطيتني الانطباع بأنك غيرت رأيك.

برز في عينيه سخرية غير ودودة:
ـ لماذا؟ ألأنني أظهرت رغبتي فيك؟ بالله عليك يا سارة... أنت امرأة جذابة وذكية والعيش معك سهل، أيما رجل في مثل وضعي قد يرغب فيك، إذا سنحت له الفرصة.

فتمتمت متصلبة:
ـ فهمت.

لو سألته سؤالاً صريحاً عما إذا كان يشعر بمشاعر جادة تجاهها لما تلقت رداً أكثر صراحة. الغزل الذي وجهه إليها لم يكن أكثر من رغبة!

كانت في متناول يده، راضية بإعطائه ما يريد وها هي الآن ممتنة له لأنه ليس من الأناس الذين لا ضمير لهم إذ لم يستغلها. لكن ما تفاعل في داخلها كان مؤلماً إلى حدٍّ لم يفسح مجالاً لأي امتنان صغير بالظهور.

قال لها ببرود:
ـ هلاَّ عذرتني، سأعود إلى عملي.

أمسك أوراقه، التي انكبَّ عليها من جديد إشارة منه ودعوة لها

إلى الانصراف لكنها استمرت في الجدال بلهجة مزدرية:
ـ تفضل تابع عملك... ولا تدعني ازعجك عمّا تريد أن تنجزه.
فتمتم دون أن يرفع نظره عن الأوراق:
ـ أنت تزعجيني لوجودك.

ساروها انطباع بأنه لم يردها أن تسمع ما قاله، ولكن هذا لم يعزيها. أرادت أن تزعجه... ولكن عاطفياً وليس جسدياً.
واستدارت على عقبيها قاصدة غرفة نومها وأغلقت الباب وعيناها تحترقان بدموع لم تتساقط. توجهت إلى الخزانة وأخرجت ثياب النوم.
حدقت في السقف وهي مستلقية في السرير ثم نظرت إلى بابها المغلق الذي انبعثت إليه أنوار الردهة من الفسحة الضيقة في أسفل الباب إضافة إلى حسيس الورق الذي كان يُسمع كلما حرّكها وارن.

● ● ●

٩ ـ المنزل لك كله

ظاهرياً، نمط حياتهما لم يتغير في الأيام الثلاثة التالية، لكنها فعلياً تبدلت جذرياً. فمنبه وارن استمر في الرنين صباحاً واستمرّ هو في النوم بعد ذاك الرنين.

تشاركا العصير والقهوة وتحدثا بود ممزوج بحدة ظاهرة. لكنهما عجزا عن أن يعيدا أنس ودفء الأسبوع الماضي.
وكما في الأسبوع الماضي كان وارن يعود متأخراً، بعد أن يكون قد أكل خارجاً، ثم لا يلبث ما إن يصل حتى يغرق في أوراقه، أمّا المواجهات والثرثرات والتلامس فانقطعت لأنهما كليهما تجنبا التواصل أو المواجهة وإن مصادفة.

بالنسبة لسارة، كانت تعد أيامها المنتهية كمن يعد لانطلاق صاروخ. خمس ليال ستعيشها هكذا قبل أن تعود ابنة عمها فيولا... لا بل أربعة ومن ثم ثلاثة. واليوم هو الخميس ولم يبق لها من الإجازة إلا يومان.

أوشك عذابها على الانتهاء، لكنها مع ذلك خائفة مما هو آت. وجدت أنه يستحيل أن تصدق، أن رجلاً، استطاع في بحر اسبوع واحد، أن يقلب حياتها رأساً على عقب. وبخت نفسها بغضب «أيتها الحمقاء الصغيرة! إنه لم يسع وراءك مطلقاً لتقعي في حبه... فهذه

اذن غلطتك اللعينة وحدك!».

نزلت من سيارتها، وسمعت فجأة صوتاً مألوفاً لديها:

ـ هل تكلمين نفسك يا سارة... إنها إشارة سيئة. لم تدمدمين؟

كان ديرك يسير خلفها، فتمالكت نفسها إثر مفاجأته لها وهي تهز رأسها:

ـ لا أدمدم بشيء خاص بل أعني العالم بشكل عام.

ـ هل فقدت الأيام في مكان ما، أم أن اليوم هو الاثنين وأنت في طريقك إلى المكتب؟

تطلع إلى الأمام نحو البناء الذي يحوي مكتبه. فأكدت له بمحاولة للابتسام:

ـ لم تضع الأيام.

فضحك:

ـ لم تستطيعي الابتعاد عن عملك، هه؟

ـ شيء من هذا القبيل.

ـ دعك من المزاح... ماذا تفعلين هنا؟ يجب أن تكوني الآن تحت أشعة الشمس ما دامت الفرصة متاحة لك.

بدأت عيناه اللوزيتان تتفحصانها عن كثب فرأى الطريقة التي تتجنب فيها النظر إليه مباشرة. كما رأى التوتر الشديد الذي يبدو وراء قناع من الارتياح فقالت:

ـ جئت إلى شقتي هذا الصباح لآخذ البريد، ولأتأكد من أن كل شيء على ما يرام. وبما أنني في الجوار. وموعد الغداء قد حل، قررت أن أحضر لأتناول الغداء مع جولي.

ـ أخشى أن يكون حظك عاثراً، لأن جولي خرجت باكراً لزيارة طبيب الأسنان. وكنت لأتغدى معك لو لم أكن عائداً لتوي من الغداء.

نظر إلى ساعته وأكمل:

ـ ولو لم أكن على موعد مع زبون بعد عشرين دقيقة.

هزّت سارة كتفيها ثم استدارت عائدة إلى سيارتها:

ـ لا بأس. أنا أستأهل أن آكل وحدي. كان يجب أن اتصل بجولي من شقتي قبل المجيء إلى هنا.

لم ترغب في إطالة الحديث مع ديرك، فسارعت إلى القول:

ـ أراك يوم الاثنين، إن لم يكن قبل ذلك.

ـ لا تتأخري.

لوح لها بيده مودعاً ثم مضى... فقادت سيارتها على غير استعجال باتجاه منزل الشاطىء فكان أن استغرقت رحلة العودة وقتاً أطول من المطلوب، اثناء مرورها بأحد المنتجعات السياحية الفخمة، عنّت لها فكرة استسلمت لها بسرعة، وما هي إلا دقائق قليلة حتى كانت على طريق الفندق.

قالت لنفسها بإصرار: «هيا... تقدمي وبذّري مالك متفاخرة. يجب عليك أن تستفيدي من إجازتك إلى أقصى حد، بدل أن تحطمي قلبك». أوقفت سيارتها في الموقف، لتفكر إن كان إسرافها سيسمح لها بتناول بعض «الكوكتيل» قبل الغداء. لكن فكرة جلوسها وحيدة على طاولة مخصصة لاثنين، بعثت الكآبة إلى نفسها، فتوجهت إلى مدخل المطعم. وإذ بها تسمع رجلاً ينادي بلهجة مزجها الدهشة والاستفسار:

ـ سارة!... عيناي لم تخدعاني... أهذه أنت؟

التفتت إلى المنادي فإذا بها ترى رجلاً أشقر وسيماً يخرج من قاعة الجلوس في الفندق... خالط دهشتها خيبة الأمل لأن هذا الرجل ما كان إلا شقيق كاثرين، تيد ارثربوري.

ـ مرحباً سيد ارثربوري.

جاء ردها رسمياً بارداً في طياته معان كثيرة رجت أن يفهمها ليختصر الردّ على تحيتها. لكنه اعترض بشدة وهو يصحح لها برفق «تد» ثم أمسك يديها رغماً عنها، فأردف:

ـ أنت تبدين فاتنة بهذا الثوب الفيروزي كما كنت تماماً في تلك البيجاما التي لها تقريباً هذا اللون نفسه.

ليس بحاجة لأن يذكرها بالظروف التي تقابلا فيها، فهي تتذكرها تماماً. تمكنت من إفلات إحدى يديها، لكنه تمسك بالأخرى، ليغطيها بيديه كليتهما... ابتسمت له بأدب مصطنع:

ـ شكراً لك.

لوى رأسه إلى جانب واحد، مبتسماً ابتسامة لم تخفِ الخبث الكامن في عينيه:

ـ ماذا تفعلين هنا؟ لا تقولي انك ستقابلين وارن؟

حافظت على هدوئها بحذر لئلا ترمي رداً لئيماً في وجهه:

ـ لا... لن أقابله... لقد توقفت لأتناول الغداء.

ـ وحدك؟

ـ أجل... وحدي.

فاتسعت بسمته:

ـ لن أسمح بذلك أبداً إذ ليس في الكون اسوأ من أن يتناول المرء الطعام وحده هيا بنا لنتناول شراباً في البلد.

ـ لا شكراً.

حاولت جاهدة أن تنتزع يدها منه:

ـ إذا كنت قلقة من غضب وارن فأنا غير قلق، لأنه لا يجوز أن يشغل شخصان طاولتان حين يمكنهما الجلوس إلى طاولة واحدة. إذا

أحببت نتشارك وتدفعين أنت ثمن غداءك.

ما هو الشيء الذي سيجعل هذا المغفل الأشقر يفهم أنها غير مهتمة به؟ ربما لم يقل له أحد من قبل «لا» فتحت فمها لتتكلم...

ـ لكنني...

قاطع كلامها صدى ضحكة وارن المرتفعة من مكان ما على يسارها، وهي ضحكة عميقة لا يمكن أن تشك في صاحبها أبداً. استدارت تبحث عنه وسرعان ما وجدته يرتدي بذلة صيفية رمادية، باعثاً إليها كالعادة ضيقاً في أنفاسها خاصة وأنه قد بدا يملأ مدخل المطعم بجسده.

شخص ما كان يتلقى دون شك تلك الضحكة المليئة بالحيوية والسحر. قاومت سحره. ثم حوّلت طرفها إلى الشخص الواقف بقربه.

اتسعت عيناها عند رؤية الشقراء ذات العينين الخضراوين المتعلقة بذراعه. إنها كاثرين ارثربوري. كل شيء فيها كان يدل على أنها تمسك بشيء من ممتلكاتها الخاصة، ووارن لم يكن يحاول الإنكار.

تمتم تيد:

ـ ألم تعرفي أنه سيكون هنا؟

بدأت سارة ترتجف بعنف، فأمسكت بيدي تيد دون وعي لتدعم نفسها، وهما اليدان ذاتهما اللتان أرادت التخلص منهما. قالت بصوت متحشرج:

ـ لا... لم أكن أعرف.

ـ ولم تعرفي أيضاً أنه سيكون بصحبة شقيقتي؟

تجاهلت تماماً رنة الرضى في صوته، لتصب كل اهتمامها إلى الرباط الشديد القوي الذي بدأ يلتف حول صدرها. الألم كان شديداً،

حتى ظنت أنها ستموت. توقعت في أية لحظة أن ينفجر قفصها الصدري من قوة الضغط. ومرة أخرى خرج صوتها بحشرجة صارخة:

ـ لا...

استمرت يداها بالتعلق به فهو الشيء الصلب الوحيد حولها. ومرر إحدى يديه، ليلف ذراعه على كتفيها، ويديرها نحو مدخل المطعم. عندها أحست بتأثير عينين زرقاوين تحملقان إلى ظهرها، تعرف كل المعرفة من صاحبهما.

بسبب الألم النفسي الشديد، لم تذكر أنها صعدت درجات أوصلتها إلى زاوية معتمة من غرفة الجلوس في المطعم. أمّا الشيء الوحيد الذي لاحظته، فكان مساعدة تيد لها بالجلوس على مقعد وثير.

وبسرعة، فرقع اصابعه لاستدعاء الساقية، فطلب شيئاً، لم تع سارة المرتجفة ما هو لأنها كانت أعجز من أن تسمع. جلس على المقعد العريض إلى جانبها. أمسك يديها المرتجفتين ليغطيهما بيديه في الوقت الذي توقف شخص قرب الطاولة، ثم أحست بتيد يضع حافة كأس على شفتيها. ويقول آمراً:

ـ اشربي هذا.

رفع الكأس إلى شفتيها اللتين احتستا بصورة آلية شراباً جعلها تسعل ما إن لامس حنجرتها. إذن لقد عاودتها مشاعرها، لكنها لم تكن واثقة من أنها ممتنة لهذا.

سألها تيد:

ـ ألم يذكر لك وارن أنه يقابل كاثي؟

زاد الألم وضغطه في صدرها ما تضمنه سؤاله من تلميح إلى أنها لم تكن المرة الأولى ونظرت إليه مصدومة، ثم أخفضت رأسها وهزته

نافية.

ـ لا... لم يذكر شيئاً.

سألها بلهجة أكدت شدة عماها:

ـ ألم تتساءلي أين كان يتناول عشاءه كل ليلة!

ـ لا... فأنا...

لم تشأ أن توضح له طبيعة علاقتهما، فكان إن وضعت يديها المرتجفتين فوق عينيها ثم أردفت تقول:

ـ خلته يأكل طعامه في مطعم.

ـ لكنه أمضى الليالي الثلاث الأخيرة في منزلنا مع كاثي.

ـ الآن فهمت.

فهمت شدة حماقتها وغبائها لأنها علّقت أملاً بشأن وارن. ضغطت اصابعه على يدها الأخرى تعاطفاً، قبل أن يقف في وجه النور طيف طويل، علمت سارة حتى قبل أن يتكلم أنه لوارن الذي جاءها صوته منخفضاً مشبعاً بالتوتر:

ـ ماذا تفعلين هنا يا سارة؟

أنزلت يدها عن وجهها ثم نظرت بعينين تلمعان ألماً إلى وجهه ذي التعبير الهادىء ظاهراً الغاضب باطناً. لم تعرف من أين واتتها القوة لتتحداه، فليس من حقه أن يطلب منها تفسيراً عن سبب وجودها هنا. ردت بانفعال:

ـ ماذا يفعل الناس في مكان كهذا؟ أنا أتناول بعض الشراب قبل الغداء.

تطوع تيد للرد، فلم تحاول سارة تكذيبه:

ـ أجل... لقد أشفقت عليّ سارة لأنني وحدي ووافقت على الانضمام لي.

توترت عضلات فكه بشكل ظاهر. وهو ينظر إليها باتهام ظاهر في هذه الاثناء ظهرت كاثرين إلى جانبه، تنظر إلى سارة بحدة قبل أن تبتسم لوارن بشكل إيجابي:

ـ حبيبي لقد حجزوا لنا طاولة.

نظر إليها وارن مذهولاً قبل إن يرتدّ بصره إلى سارة، سائلاً:

ـ أتحبين الانضمام إلينا؟

ـ لا...

أجابت ثم أخفضت عينيها المليئتين بالألم إلى كوب الشراب أمامها.

هز تيد كتفيه، وقال ببرود وجفاء:

ـ السيدة قالت لك «لا» يا وارن. ولست أرى سبباً يدفعك إلى تغيير رأيها.

كررت كاثرين:

ـ حبيبي... طاولتنا.

راقبت سارة من طرف عينها انصراف وارن الذي بدا الغضب واضحاً من خلال خطواته المتسارعة، عندئذ تلاشى الكثير من الغضب من نفس سارة، ليحل مكانه ارتياحاً مزجه الألم.

سألها تيد بعد ابتعادهما:

ـ أنت تحبينه؟

لم تستطع نفي حبها له. كانت شاحبة مضطربة وهي تهز رأسها باعتراف صامت.

ـ يا فتاتي المسكينة... أحسبتِ أن لك فرصة أمام كاثي... فلو سألتني، لقلت لك ان من المحتم أن ينتهي وارن بين يديها.

مسحت دموعها المتحجرة في عينيها وهي ترى أن تيد يبدو

مسروراً مما يجري لا مُشفقاً.

ـ حقاً؟

شهقت عالياً لتستعيد شيئاً من سيطرتها. عندما كان يردف:

ـ يؤازر مخطط كاثرين أشياء عدة منها رغبتها في الحصول على وارن الذي ينتمي إلى صنف الرجال الذي يعجبها. كانت لتمتلكه منذ سنتين لو لم تلقِ عليه الأوامر وتتصرف بطفولية عندما لا يجيبها على ما تريد. ومنذ ذلك الوقت كان ينفصلان ثم يعودان. وأنت قد التقيتهما في مرحلة انفصال.

ـ أجل... ربما.

ـ أنا بصراحة اؤيد هذا الزواج لأن وجود صهر كوارن يبعد عني أبي، فأنا لا أحب العمل، ولا أريد أن يكون لي شأن بأعمال العائلة.

مرر ذراعه خلف كتفيها، تقبلت هذه الحركة مبدئياً:

ـ أنا لا أحب حياة الأعمال، بينما وارن رجل أعمال. في الواقع أنا أفضل تسلية الجميلات مثلك يا سارة.

أجفلتها كلماته لذا قالت بصرامة وهي تبعد ذراعه عنها:

ـ إذا كنت أنت التعويض الذي سيصلني لقاء خسارة وارن يا سيد ارثربوري، فأنا لست مهتمة بك. هل تسمح لي بالخروج من هذا المقعد!

بدت عليه ملامح من لا يصدق أنها ترفضه.

ـ وإلى أين ستذهبين؟

ـ أنا ذاهبة، فليس لي مصلحة في البقاء.

ـ أنت لا تعنين هذا حقاً.

ـ بلى أعنيه، وإذا لم ترغب في إثارة فضيحة، فابتعد عني.

ابتسم ابتسامة بشعة:

ـ ستندمين على هذا يوماً ما... فعندما تقول لي فتاة «لا» تكون هذه آخر مرة اسألها فيها.

ـ لا... سيد ارثربوري... لا... لا. ولا أريد أن أراك مطلقاً.

وابيضّ وجهه من الغضب، وانزلق عن المقعد ليقف:

ـ ما إنت إلا سكرتيرة حمقاء وصغيرة، لا أدري سبب اهتمامي بك.

مرت كلماته بها مرور الكرام، دون أن تترك أثراً.

عندما خرجت أذابت الشمس الدموع التي كانت متحجرة فانهارت على خديها.

في السيارة تولت الغريزة القيادة، لتوصلها بأمان إلى منزل الشاطىء. كانت قد اجتازت آخر ميلين وسط بحر من دموع أغشى بصرها حتى كادت لا تشاهد علامات الطريق...

عندما وصلت توقفت أمام المنزل، وجرجرت نفسها إلى الداخل ثم ارتقت السلم، لتغرق في أقرب مقعد لها، دامعة العين أسىً وشفقةً على النفس.

في الخارج، هدر محرك سيارة غاضب. وأصدرت المكابح صوتاً مزعجاً تبعه صفق باب تعالى صداه في ارجاء المنزل. الحاسة السادسة أنبأتها بأنه وارن فسارعت إلى مسح الدموع عن وجهها ونفخ أنفها بينما هو يتابع المسير صافقاً الأبواب التي يجتازها مرتقياً السلم درجتين درجتين.

عندما دخل بدا غضبه وكأنه فُك من عقاله، يتطاير بحرية على كل خط من ملامح وجهه، لكنها هي كانت أبعد من أن يرهبها غضبه، فلقد جرحها عميقاً بما فيه الكفاية لذلك واجهت عاصفته الزرقاء دون

أن يرجف لها جفن.

ـ ما زال الوقت باكراً على العودة!

ـ أنت تعرفين جيداً لماذا عدت!

كان صوته رعداً يكاد يهز الغرفة، وهو واقف مضموم اليدين مشدود الأعصاب حتى بدت عضلاته وكأنها تقفز فوق كتفيه:

ـ أريد أن أعرف ماذا كنت تفعلين مع ارثربوري في الفندق.

رفعت ذقنها بكبرياء، مع أن الألم كان يعتصر حنجرتها:

ـ لا شأن لك فيما أفعل.

لو كان في نفسها أي تردد لقول هذا، فقد تلاشى عندما شاهدته مع كاثرين. وقفت لتبتعد عنه، لكن اصابعه أطبقت كالحديد على ذراعها لترجعها إلى الوراء وهو يقول بوحشية:

ـ عندما أطرح سؤالاً... أريد الإجابة عنه. ماذا كنت تفعلين في الفندق؟

ـ أنت تؤلم ذراعي.

كانت قوة اصابعه تقطع الدورة الدموية في ذراعها التي بدأ الورم يظهر عليها.

قال محذراً دون أن يخفف قبضة يده:

ـ ستتألمين أكثر إن لم تعطيني رداً صريحاً.

تهربت من الجواب:

ـ أنا بالتأكيد لم أذهب لأنني ظننتك هناك.

ـ لكنك كنت على موعد مع تيد في ذاك المكان. أليس كذلك؟

ـ أجل... التقيته هناك... أهذا ما أردت سماعه؟

كان صياحها صياح التحدي. فترك يدها بسرعة وكأنها أصبحت فجأة مدنسة. بينما النار في عينيه اللتين نظرتا إليها الآن بازدراء ما

زالت تستعر حتى تكاد تحرقها وتقطعها قطعاً قطعاً.

ـ كنت أعلم أنه لن يمر وقت طويل قبل أن يُجعل منك تيد العوبته، لكنني خلتك أذكى من أن تقعي في الفخ، لكن على ما يبدو أن ماله وجماله كانا أقوى من قدرة احتمالك؟ كم مرة التقيتما قبل اليوم؟

كانت سارة تدلك بلطف ذراعها حيث كان يمسكها وهي على يقين من أن آثار اصابعه التي تحفر لحمها حفراً ستظهر غداً صباحاً.

ـ هذا ليس من شأنك. أنا لم اسألك قط كم مرة التقيت بكاثرين.

ـ ليس لكاثرين علاقة بهذا، اتركيها خارج الموضوع.

ـ بكل سرور!

خرجت من غرفة الجلوس إلى الشرفة. فالتفت اصابعها على قضيب السياج... تحفر بأظافرها الطلاء عنه، في وقت اجتاحت موجات الألم كل كيانها المرتجف المرتعد.

كان غضبها موجهاً إلى نفسها أولاً لأنها سمحت له في تمزيق عواطفها وكان غضبها هذا درعاً واقياً ضده عندما لحق بها إلى الشرفة وهو يأمر.

ـ سارة أريدك أن تبقي بعيدة عن تيد ارثربوري.

بدا غضبه مكبوحاً بلجام قوي، لكنه متحفز للانطلاق عند أول إشارة. فردت بصوت منخفض مرتجف، كان قوياً جداً في محاولة لإثبات استقلاليتها:

ـ سأفعل ما اشاء، بالنسبة لتيد ارثربوري أو أي شخص آخر.

تقطعت حبال غضبه الهشة، فأمسك كتفيها بخشونة وزاح يهزها وكأنها لعبة من القماش، لكن الألم الذي ساد جسدها جعلها بالفعل دمية.

ـ هل علي أن أهزك لتعودي إلى رشدك؟

صدرت عنها ضحكة انفعال هش، وإحساساتها المرتجة في اسوأ حال:

ـ أظنك نجحت.

ـ إذن اصغي لما أقوله وابتعدي عنه.

بجهد فائق اندفعت سارة لتتخلص من قبضته وصاحت بغضب وحشي، وصوتها يردد صدى الألم الذي ينبض في داخلها:

ـ لست مضطرة للاستماع إليك! كما أنه لا يحق لك في أن تأمرني بما أفعل أو لا أفعل وبما أنني لا أحدّد لك من تصادق فأنا أرفض أن تأمرني.

تحولت نظراته للحظة إلى أبعد منها، وقال بصوت منخفض حار:

ـ لست مضطرة للصراخ يا سارة.

نظرت بسرعة إلى الوراء من فوق كتفها كردة فعل تلقائية على نظراته فاكتشفت ما جذب اهتمامه إنها المرأة التي تعتمر قبعة تقيها أشعة الشمس الواقفة عند الشاطىء قرب خط المد تجمع الأصداف والتي كانت تحدق باتجاه المنزل والسبب على الأرجح أن الهواء نقل إليها صدى صوتيهما الغاضبين.

أخفضت سارة صوتها:

ـ سأصرخ إذا أردت الصراخ، وإذا لم يعجبك بإمكانك الذهاب من هنا!

ـ لقد ناقشنا هذا من قبل.

ـ أجل:... لقد فعلنا... وسيسرك كثيراً أن تعلم أنك ربحت الجدال... لأنني راحلة!

قطب وارن حاجبيه وضاقت عيناه دهشة، لكنها لم تنتظر رده بل

اجتازته نحو المنزل دون أن تخفف من سرعتها حتى وصلت غرفة نومها. لقد اتخذت الآن قراراً هو طريقها إلى الخلاص.

كبحت دموعها وهي تخرج حقائبها من الخزانة لتضعها فوق السرير ثم شرعت تجمع ثيابها، وتضعها وتكوّمها داخل الحقائب، دون ترتيب أو تفكير أو نظام.

ترددت جزء من الثانية عندما ظهر وارن أمامها، ثم عادت إلى عملها بعجلة. كانت عضلة تتحرك باستمرار في فكه أما فمه فكان مشدوداً في خط مستقيم متجهم. لكن الندم كان يظهر على الفولاذ الأزرق في عينيه...

قال متوتراً:

ـ سارة... أنا...

قاطعته بخشونة، وهي تعي تماماً جسده الطويل القوي الذي سدَّ الباب:

ـ لم يبقَ شيء ليقال. بقي لي ثلاثة أيام كاملة من إجازتي لن أدعك تدمرها لي.

انفجر بنفاذ صبر:

ـ اللعنة يا سارة... أنا لا أحاول تدمير أي شيء لك... أنا...

ـ من دون شك قمت بعمل رائع بالنسبة لشخص لا يحاول تدميري.

رمت كومة ثياب إلى الحقائب بقوة وعصبية حتى اخشوشن صوتها.

دمدم وارن:

ـ أنت لا تفهمين.

قاطعته بتحدّ:

ـ ألم يحن وقت عودتك إلى المكتب بعد فرصة الغداء.

أمسكت مجموعة من مستحضرات التجميل فوضعتها في الحقيبة المخصصة لها.

ـ أجل... لقد حان الوقت، ولكن قبل هذا...

استدارت نحوه وهي تظهر برودة أعصاب:

ـ أنا راحلة! والمنزل سيكون لك! أليس هذا ما تريده؟

قست تعابير وجهه فقال بعد تردد:

ـ أجل... هذا ما أريده!

بعد لحظة كان الباب فارغاً، والخطوات الغاضبة تسرع إلى الأسفل. تابعت سارة توضيب الحقائب بسبب حاجتها الشديدة إلى الحركة، لكنها أجفلت عندما سمعت الباب الخارجي يُصفق.

بعد ساعتين، كانت تحمل آخر حقائبها إلى داخل شقتها وتضعها على الأرض. تهاوت على أحد المقاعد لتدفن وجهها بين يديها.

لم تبكِ. إذ يبدو أنه لم يبق في عينيها دموع... بل كل ما تملكه الآن فراغاً كئيباً مؤلماً أزال جزءاً كبيراً من حيويتها التي لن تعود أبداً إلى ما كانت عليه.

رن جرس الهاتف، فنظرت إليه ببلاهة وقد بدا لها أنه مر عليها دهر منذ أن سمعت صوتاً. مضت لحظات شرود قبل أن تقف لترد:

ـ آلو؟

ـ سارة؟

إنه وارن! أحست بأن صوته يلذع قلبها كالسوط أو كحد الخنجر... ودون تردد، صفقت السماعة.

بعد دقيقة، عاد الرنين ثانية. ومع أنها قررت عدم الرد إلا أن يدها التقطت السماعة رغماً عنها لترفعها دون وعي إلى أذنها.

ـ سارة... لا تقفلي الخط أرجوك. أنا في مكتبي، لذا ليس لدي وقت للجدال. سنجتمع الليلة كي نبحث الأمر كله... سأكون جاهزاً حوالي الثامنة والنصف...

أي بعد أن يتعشى مع كاثرين... فصاحت به غاضبة تقاطعه:

ـ اتركني وشأني! اخرج من حياتي وابق بعيداً عنها! لا أريد رؤيتك أو سماع صوتك ثانية... أبداً!

صفقت السماعة ثانية، لتقطع الاتصال ولأنها تعرف عناده التقطت السماعة وطلبت رقماً:

ـ جيني أنا سارة، هل يمكن أن أكلم جولي؟

جاءها الرد:

ـ طبعاً... كيف كانت إجازتك؟

ـ عظيمة... ألو... جولي؟

ـ أهلاً سارة... لقد قال لي ديرك انك أتيت ظهر اليوم لتناول الغداء معي، لو كنت أعلم... لكان لي العذر الكافي لألغي موعدي مع طبيب الأسنان.

ـ كان يجب أن أتصل بك صباحاً. لكنني لم أفكر بهذا.

ـ كيف حالك مع الشمس والرمال والبحر؟

ـ هذا ما أكلمك بشأنه. أنا لست الآن في منزل الشاطىء. لقد رحلت عنه.

ـ يا الله! ماذا حدث؟

ـ إنها قصة طويلة... كنت اتساءل ما إذا كان بإمكاني النوم في منزلك بضعة ليال.

ردت بحيرة:

ـ بالطبع. لكنني ظننتك ستذهبين إلى كاونتري لزيارة أهلك في

نهاية الأسبوع بعد عودة ڤيولا.

ـ كنت... لكني غيرت رأيي.

فكرة شرح ما حدث لأبويها أمر شديد الوطأة على نفسها، وهي تعلم أنها لن تستطيع اخفاء الأمر عنهما، فهما عزيزان كثيراً على قلبها. أما البقاء في شقتها فمستحيل لأن وارن قد يتابع الاتصال بها بل قد يأتيها زائراً:

ـ ماذا حدث يا سارة؟

ـ سأخبرك الليلة، متى ستخرجين من العمل؟

ـ لن أجد صعوبة في الخروج عند الخامسة، لكنني سأذهب إلى المصرف ثم لشراء بعض الأغراض، لماذا لا تأتين إلى المكتب لتأخذي المفتاح؟

ـ شكراً لك...

فضحكت صديقتها...

ـ اوه... لدي دوافعي... فلو بقيت حتى الليل لأعرف ما حدث سأجن من الفضول. وعندما تأتين إلى هنا... يمكنك على الأقل اعطائي بعض الخطوط الرئيسية.

● ● ●

١٠ ـ لا ندم بعد اليوم

تقدم ديرك من طاولة سارة ليأخذ فنجان قهوتها الفارغ.

ـ تبدين بحاجة إلى فنجان آخر، هل أصبه لك؟

فتنهدت قبل أن تعود للانحناء فوق آلتها الطابعة لتمحو غلطة طباعية.

ـ أجل... أرجوك.

ملأ ديرك فنجانها ثم وضعه على طاولتها.

ـ أنت مجهدة مع أن الساعة لم تتجاوز العاشرة. أيكون ذلك لأنه يومك الأول في العمل بعد الإجازة؟

ـ ربما...

أزالت الأوراق عن الآلة الطابعة وأعطته إياها:

ـ هاك الرسائل التي طبعتها هذا الصباح.

ـ عظيم!

ارتشف ما بقي في فنجانه ثم جمع كومة الأوراق ليأخذها إلى مكتبه، لكنه قبل أن يصل إلى الباب المشترك بين غرفتيهما توقف ليقول لها:

ـ أنت لا تدرين مدة سعادتي بعودتك يا سارة.

ـ شكراً لك.

كان في ابتسامتها قلق وتوتر.

أقفل الباب وراءه، فأحنت كتفيها واستندت إلى الطاولة وكأن بقاءهما مرتفعين ثقيل عليها. ثم راحت بأصابعها تفرك الألم ما بين حاجبيها، لكنها أجفلت عندما أحست بدموع تطل من جديد من عينيها.

انفتح الباب الموصل إلى باحة المكتب الرئيسية. فانتفضت لتستوي في جلستها مبتسمة ابتسامة كاذبة ماتت حين شاهدت وارن يدخل المكتب.

بدا لها منهكاً ومرهقاً، ولكن فكه كان مشدوداً وفي عينيه تصميم.

لمّا استعادت جأشها من الصدمة المبدئية مدت يدها إلى الهاتف لتتصل بمكتب ديرك:

ـ جاء وارن كينكايد لمقابلتك يا ديرك.

ـ ماذا؟

دلت لهجته على أنه لم يكن يتوقعه، فأخذت نبضاتها تتسارع حذرة.

ـ سأ...

مد وارن يده فوق المكتب ليضغط على أزرار الهاتف قاطعاً الاتصال:

ـ ما جئت لأرى أرميتاج بل أريد أن أراك أنت يا سارة.

أعادت السماعة ببطء إلى مكانها ثم راحت تلملم الأوراق والملفات من السلة. ووقفت بسرعة للسير نحو خزانة الملفات لتضع مسافة بينهما.

ـ هل عاد فريدي وفيولا من سفرهما؟

أصبح وارن خلفها مباشرة، فخفق قلبها صارخاً طالباً الرحمة. رد عليها:

ـ في الواقع لقد عادا. لكن لا علاقة لهما بوجودي هنا، وأنت تعرفين ذلك.

انفتح الباب المشترك، الذي أطل منه ديرك عابساً، مرتبكاً من رؤية وارن:

ـ آسف لهذا الإرباك يا وارن، لكن على ما يبدو أن بديلة سارة نسيت أن تترك لي ملاحظة عن قدومك هذا الصباح. ماذا تريد مني؟

نظر وارن بنفاذ صبر إليه لمقاطعته. وردد ما قاله لسارة من قبل:

ـ أنا لست هنا لأراك... أريد التحدث ببعض الكلمات مع سارة إن كنت لا تمانع.

كانت الجملة الأخيرة إشارة مهذبة. وسارة تعلم أن وارن سيبقى أأعطاه ديرك الاذن أم لا. فقالت له متصلبة:

ـ ليس لدينا ما نتحدث عنه.

تجاوزته بنزق لتعود إلى طاولتها. فقال وارن:

ـ في هذا أنت مخطئة... لدينا الكثير الكثير لنتباحثه.

فتمتم ديرك وهو يتراجع إلى خلف باب مكتبه:

ـ يبدو هذا أمر خاص.

استدارت سارة لتناديه، فوجدت نفسها وجهاً لوجه أمام وارن، فاضطربت مشاعرها لقربه منها. وارتجفت كرد فعل على وجوده القوي. قالت بخشونة:

ـ لماذا لا ترحل عني وتتركني وشأني...؟ ألا ترى أنني أعمل؟

ـ أنت اخترت المكان والزمان لا أنا. أنت تعرفين جيداً أنني أريد التحدث إليك. ولقد حاولت طوال أيام أن أجدك. ولكنك كنت مختبئة في مكان ما.

ـ لم أكن مختبئة!

رمت الأوراق ثانية إلى السلة أمامها. فارتفع حاجباه بسخرية:

ـ اوه؟ وماذا تسمين ذلك إذن؟

ـ كنت أتمتع بما تبقى لي من إجازة.

عادت للوقوف والابتعاد عنه ثانية. وأمسكت يده لحم ساعدها الناعم ليوقفها. وقال متنفساً بغضب:

ـ هلا وقفت جامدة؟

أحرقتها لمسته التي بدت وكأنها حديدة كيّ، وكانت ردة فعلها عنيفة بقدر الألم الذي أحست به. وحاولت نزع ذراعها منه، لكنه زاد ضغطه عليها.

فقالت بصوت هامس كالفحيح:

ـ اتركني!

أمسكت بيأس أول شيء وصلت إليه يدها، لتستخدمه سلاحاً فإذا هذا الشيء سلة الأوراق، ورفعتها لتضربه بها، لكنه أمسكها قبل أن تلوّح بها حتى.

ـ هذا ما انتظره منك دائماً. لكنك في المرة الماضية كنت تحاولين تحطيم رأسي بقضيب النار!

ـ أكرهك... وارن كنيكايد! أنا أكرهك... أنت أكثر الرجال فظاظة وعجرفة...

ـ قلت شيئاً شبيهاً من قبل.

أخذ منها ما بيدها ووضعه على الطاولة:

ـ والآن... أيمكننا التحادث كناضجين؟

أرجعت رأسها عندما اقترب منها وأجابت بتوتر:

ـ أجل...

ـ اجلسي اذن.

يمكن القول إنه دفعها تقريباً إلى الكرسي ثم جرَّ آخر له وجلس في مواجهتها.

فقالت بعناد وإصرار، وقد استعادت نبضاتها بعض الهدوء:

ـ ما زلت لا أرى سبباً للكلام.

ـ أولاً لِمَ لم تقولي إنك التقيت بتيد ارثربوري صدفة؟

ـ لم تكن في مزاج يسمح لك بالاستماع إلي، كما لم أر ضرورة للشرح لك.

بعد الرد الدفاعي، ترددت قليلاً ثم سألته:

ـ وكيف عرفت؟

ـ عرفت من تيد بعد قليل من الضغط. وهذا من حسن حظه، فقد كان قلقاً من أن أشوه له وجهه الوسيم، لذا لم يلزمني سوى تهديد واحد أو تهديدين لا أذكر، لأستخلص الحقيقة منه.

ـ لكن هذا لم يكن من شأنك.

لم ترغب في قراءة أي دليل على اهتمامه الخاص بشؤونها... سألها بهدوء:

ـ أليس من شأني؟

رن جرس الهاتف الداخلي، فتنفست الصعداء وتمسكت بهذه الفرصة، ورفعت السماعة، لكن وارن مد يده ليأخذها منها قائلاً بلهجة آمرة:

ـ أوقفي المخابرات وإياك أن تمرري أية مخابرة إلى هنا.

أقفل الخط. فصاحت سارة محتجة:

ـ لا يمكنك فعل هذا.

رد ضاحكاً:

ـ هذا عجيب... لكنني فعلته الآن.

ـ أنت تعرف ما أعني.

ـ هل تعرفين أنت ما أعنيه؟

وقع سحر كلامه على اذنيها كان أكثر مما تستطيع الاحتمال. فهبت عن الكرسي باضطراب، ويداها مضمومتان بقوة أمامها. ثم قالت:

ـ لا فائدة من كل هذا الحديث.

كان بلمح البصر خلفها حيث وضع يديه على كتفيها ليديرها إليه، دون أن تجد قوة لمقاومته...

ـ النقطة الرئيسية وراء كل هذا الحديث هو أنني اشتقت إليك. لقد مررت ببؤس شديد منذ تركتني. فلم تعودي هناك في الصباح لتوقظيني عندما يرن المنبه ولا قهوة ولا عصير برتقال. لم يكن يهمني من قبل العودة إلى منزل فارغ... لكنني اهتم الآن بأن تكوني موجودة لاستقبالي. أما في الأمسيات فما عدت استطيع انهاء أي عمل دون أن تكوني جالسة بهدوء على مقعد قريب.

ـ تجعلني أبدو وكأنني غدوت عادة لديك.

ـ لكنها عادة تبعث إلى قلبي السعادة ولا أريد التخلي عنها.

مد يده إلى خدها، ثم إلى شعرها البني الحريري، فعادت الدموع إلى عينيها:

ـ ماذا تقترح الآن يا وارن؟ أن نعود إلى العيش معاً بالقوانين الـ[illegible] نفسها.

[illegible]قة ما، نعم. أريد الزواج منك يا سارة. أريدك أن تصبحي

...!

حرجت الكلمة الصغيرة مع زفرة دهشة وقد بدأت تذوب قليلاً:

ـ هل أنت جاد؟ وماذا عن كاثرين؟

مرت فوق جبينه تقطيبة قوية:

ـ كاثرين؟ وما شأنها بهذا؟

ـ لست أدري... لكنني أعرف أنك كنت تتعشى معها طوال الاسبوع الماضي... أليس كذلك؟

ـ في منزل والديها... أجل كانت تجلس إلى الطاولة معنا. لكنني كنت أقابل والدها... من أخبرك عن الأمر؟ تيد أليس كذلك؟

ـ أجل.

تنهدت عندما اشتدت قبضة ذراعيه حولها.

ـ كان يجب أن أعرف أنه سيسبب لي المشاكل بطريقة ما. دايڤد ارثربوري، والدها شريكي في العمل وهذا هو السبب الوحيد لوجودي هناك.

وامتدت يدها قرب ياقة قميصه. وقالت هامسة:

ـ لم أكن أعرف هذا. لقد ظننت... في الفندق... لقد بدوت سعيداً معها. لا كالمرة الماضية عندما كنت...

ـ فظاً معها... هل هي الكلمة التي تبحثين عنها. ذلك اليوم في بيت الشاطىء رحلت كاثرين دون أن أدعوها. ولم أجد سبباً لأكون مهذباً مع المرأة التي لا أرحب بها في منزلي. وإن اعتقدت أنني كنت مسروراً وقتذاك فاعلمي أنني كنت أمثل دور الشاب اللطيف المهذب مع ابنة شريك أعمالي.

ـ لكن كاثرين جميلة.

ـ الجمال يا حبيبتي في عينيك الناظرتين إليها.

ارجع رأسها قليلاً لينظر إليها.

ـ متى ستتوقفين عن الكلام لأستطيع تقبيلك؟

ـ سأتوقف على الفور.

لفت ذراعيها حول رقبته، ورفعت نفسها على أطراف اصابعها وقد حل الفرح في حياتها لينير لها العالم. لكنه قال بصوت أجش:

ـ لكنك لم تذكري بعد موافقتك على الزواج؟

ـ ألم أفعل بعد؟

أرجعت رأسها إلى الوراء لتمرر اصبعها على فكه:

ـ سأفعل.

ـ هل لديك أي مانع في زواج الخطيفة السريع.

هزت رأسها بقوة.

ـ أبداً... لماذا تركتني أرحل الخميس الماضي... لقد بدوت سعيداً بالتخلص مني.

أمسك بيديها ليقبل طرف كل اصبع منهما:

ـ هذا صحيح... لقد كان العذاب يتآكلني وأنا مستلق في السرير ليلاً بينما أنت في الغرفة المجاورة. لو بقيت في المنزل أكثر لرميت باتفاقنا السخيف عرض الحائط. عندما قررت الرحيل، لم أتوقع أن تختفي تماماً. ولكن انقلب الأمر إلى الأسوأ عندما لم أعد أعرف أين أنت أو مع من.

فأجابته سارة.

ـ لقد سكنت مع صديقة.

ـ بينما كنت أفقد عقلي بالتدريج.

فهمست:

ـ آسفة.

ـ يجب أن تكوني آسفة.

انفتح الباب الداخلي الذي تقدم منه ديرك إلى [illegible] لأحد

أمام منظر عناقهما، فقال معتذراً:

ـ آسف، بدا المكتب هادئاً فظننتكما خرجتما.

حاول التراجع لكن وارن قال:

ـ لا لزوم لذهابك يا ديرك لأنني وسارة خارجان.

ـ ماذا؟

عبس ديرك، فنظرت سارة بارتباك إلى وارن الذي أردف:

ـ سأرسل لك من يحل مكانها بعد نصف ساعة. فأمامها الكثير مما تقوم به في اليومين القادمين، وبعد أن نتزوج، إذا أرادت أن تكون سكرتيرة لأحد فأنا الأجدر بها!

حاولت الاعتراض، مع أنها لم تعرف على ماذا فهي موافقة على خطته:

ـ ولكن...

فقاطعها:

ـ وفي هذه الأثناء هناك شيء أريد أن أريك إياه.

فقالت بفضول:

ـ ماذا؟

ـ احضري حقيبتك وتعالي معي.

صاح ديرك وهما يسرعان من المكتب:

ـ مبروك.

سألته وهو يساعدها على ركوب السيارة.

ـ ماذا ستريني؟

ـ سترين بعد قليل.

ـ اعطني ولو تلميحاً على الأقل.

ـ متى ستتوقفين

تلقته من رد كان ابتسامة خبيثة وهو يخرج السيارة

من الموقف نحو الشارع. بعد بضع دقائق أدركت أنهما متجهان إلى منزل الشاطىء في هايستغز، ولم تمض ساعة حتى تأكد لها أنهما ذاهبان إلى منزل ابنة عمها ڤيولا... فقطبت لتقول:

ـ لماذا جئت بي إلى منزل الشاطىء؟

مد يده ليمسك يدها بحرارة «اصبري» ثم أوقف السيارة خارج الباب واستدار إليها مبتسماً.

ـ أتحب السيدة كينكايد المقبلة أن تشاهد منزلها الجديد؟

ـ ماذا؟

ـ عندما عاد فريد وڤيولا من رحلتهما، أخبرني فريدي عن عزمه على الانتقال إلى اسكتلندا حيث سيسكن مع أهله، وقد أضاف أن انتقاله سيكون ما إن تتم الترتيبات هنا.

مدّ يده إلى جيبه ليعطيها المفتاح.

ـ اشتريت منه المنزل. فبعد كل ليالي الاحباط التي قضيتها معك هنا، قررت أن المكان مناسب ليكون منزلاً لنا لنمضي فيه، ما أطال الله عمرنا، ليالي مرضية معاً.

ـ اشتريته؟

ـ ألم تحبي المكان؟

ـ لقد أحببته، ولكني لا أصدق أنه أصبح ملكي... ملكنا.

ـ صدقي يا حبيبتي.

تصاعد من حنجرتها وهي ترمي بذراعيها حول عنقه، صوت هو بين الصرخة والضحك. راحت السعادة والحب يفوران منها كما تفور مياه النبع فالكلمات عجزت عن التعبير، أما الفعل فكان أفضل منها وأمتع...

خرج وارن من مياه البحر، وكأنه تمثال برونزي إغريقي لأحد

الآلهة القدامى، وأخذ الحب يقفز قفزاً فوق كل ذرة من بشرة سارة وهي تراه مبتسماً ابتسامة بيضاء تضيء لها من بعيد دروب سعادتها.

ما إن وصل إليها حتى ركع أمامها على الرمال، والماء المالح يقطر منه. بقي دقيقة كاملة يتأملها ممددة فوق الرمال في ثوب السباحة الأزرق اللماع فتوترت على الفور. أطراف اصابعها كلها ارتجفت من حلاوة نظرته.

مد يده إلى يدها ليجذبها إلى الجلوس، وعندئذٍ طبع قبلة عفوية على خدها. ثم تمتم:

ـ هل أنت سعيدة!

ـ كأنني في جنة عدن.

ـ حتى إن كنت مضطراً لتشغيل المنبه كي استيقظ باكراً إلى عملي؟

ـ وهل تخشى أن توقظ سكرتيرتك الجديدة؟

ـ لست أدري، لكنني تمتعت بإيقاظ زوجتي الجديدة هذين اليومين.

ـ صحيح؟

نظر إليها بعينيه الزرقاوين، والنار قد انبعثت فيهما، ثم استقام واقفاً ليجرها معه... كان عناقه لها تحت أشعة الشمس يعد بالمزيد مما هو آت في مكان أكثر خلوة من الشاطىء.

وعندما استدارا نحو المنزل، وذراعه تلتف حول خصرها كي يجذبها أكثر إليه. كانت امرأة تسير فوق رمال الشاطىء عن يمينهما. وقبعة قديمة الطراز فوق رأسها. سرعان ما عرفاها فتوقفا.

ـ مساء الخير سيدة كولبير.

رفعت المرأة رأسها وقد بدت عليها الدهشة:

ـ مساء الخير... أرى أنكما تصالحتما بعد ذلك الشجار القصير.

رغم وجود لهجة ودودة في صوتها إلا أن شيئاً من عدم الموافقة كان في ابتسامتها... فقال وارن:

ـ أجل... ولقد عملت بنصيحتك كذلك.

رفع يد سارة اليسرى ليظهر الخاتم الذهبي الملتف حول اصبعها.

ـ لقد جعلت منها امرأة محترمة.

انقلبت ابتسامة المرأة فوراً إلى ضحكة مشرقة:

ـ يا لسعادتي بكما... أنا علي يقين من أنكما لن تندما وفي قلبيكما هذا الحب كله لبعضكما بعضاً.

فأجابها وارن موافقاً:

ـ لا... لن نندم أبداً.

ثم أخفض رأسه لينظر إلى وجه سارة المرتفع إليه.

● ● ●